عيد الغدير

أعظم الأعياد في الإسلام

آية الله السيد محمد الحسيني الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

َ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

صدق الله العلي العظيم

سورة المائدة: 67

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

العيد في الإسلام

قال تبارك وتعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً))[1].

إنّ طبيعة الأعياد في الإسلام تختلف عن الأعياد في الأديان الأخرى، فالعيد في غير الإسلام هو غالباً للحصول على مكسب مادي بحت.

مثلاً، الشخص الذي يربح في تجارته ربحاً وفيراً يتخذ ذلك اليوم عيداً له، ومن يحقّق أمنية من أمانيه يعد ذلك اليوم عيداً له، وكذلك الشخص الذي يولد له مولود يتخذ هذا اليوم عيداً، وهكذا توجد نماذج كثيرة لهذه الأعياد في نظرهم، وخصوصاً في بعض المجتمعات الغربية ومن سار على شاكلتهم.

وبتوضيح أكثر نقول: إنّ أغلب الأعياد في غير الإسلام ترتكز على الماديات المحضة فحسب، وعلى إشباع الرغبات الجسدية فقط.

أما العيد في الإسلام فإنه يختلف اختلافاً كبيراً عن هذه الأعياد ـ من حيث المعنى والدلالة ـ فالإسلام الذي يرى الإنسان جسماً وروحاً ومادة ومعنى، ويحاول التعادل بينهما والتكافؤ فيهما، ينسّق في أعياده بين الماديات والمعنويات، ويؤكد على أنه كما يستفيد الإنسان من مظاهر العيد المادية، يستفيد كذلك من الأمور الروحية والمعنوية أيضاً.

إن العيد في نظر الإسلام هو اليوم الذي يتنازل فيه الإنسان عن بعض الماديات لصالح أموره الروحية والمعنوية، خُذ مثلاً عيد الفطر: هذا العيد الذي يأتي بعد مرور شهر كامل على تنازل الإنسان عن أهم الحاجات الجسدية، والرغبات الشهوانية والجسمانية، وهي حاجته للطعام والشراب وما إلى ذلك من الأشياء التي يمتنع عنها الصائم في صيامه، فهو عيد قوة الروح وسلامته، والسيطرة على الشهوات والرغبات، لكسب معنوي، وهو التعادل بين الروح والجسم، إضافة إلى الثواب الآخروي، وامتلاك الإرادة الصلبة في مجال الطاعة لله عزوجل واكتساب فضائل روحية عديدة، مثل الإحساس بالفقراء ومواساتهم، والنزوع عن هوى النفس وشهواتها، وغير ذلك.

فقد قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): «إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا تعصي الله فيه فهو يوم عيد»[2].

ومن الواضح أنّ هذا العيد لا يخصّ إنساناً واحداً بعينه، وإنْ كان يعود عليه بالنفع والفائدة، بل إنّ هذا العيد يشمل كل المجتمع، فآثاره عندنا عامة لا خاصة فقط، واجتماعية لا شخصية فحسب.

أما العيد في غير الإسلام، فإنه مجرد حصول الشخص على رغبة مادية بحتة، وان كان فيها شيء من المعنويات فهو يتغاضى عنها ولا يعبأ بها، خذ مثلاً عيد ميلاد الأشخاص العاديين، ماذا يعني ذلك عندهم؟

إنه يعني مجرد الحصول على هذا الجسم متغافلين عن الروح الذي هو جوهر الجسم وبه حياته، فهل الاحتفال بشق الإنسان وهو الجسم الأقل أهمية، ونسيان الشق الآخر وهو الروح الأكبر أهمية، يعدّ احتفالاً كاملاً وشاملاً، ومفيداً ونافعاً!

كلاّ، ليس هذا الاحتفال احتفالاً كاملاً وشاملاً، لأنه لا يعود على جوهر الإنسان وهو روحه ومعنوياته بخير أبداً، بل يزيد في تضخيم الجسم والماديات على حساب الروح والمعنويات، ولا يكون مفيداً ولا نافعاً؛ لأنه يؤدي إلى عدم التوازن بينهما، وعدم التوازن بينهما يعني: القلق والاضطراب، والبؤس والمرض.

وربَّ سائل يسأل: لماذا يحتفل المسلمون وخصوصاً الشيعة بذكرى ولادة الأنبياء والأئمة والأولياء (عليهم الصلاة والسلام)؟

وللجواب نقول: إن احتفالنا بذكرى ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) هو احتفالٌ كاملٌ وشاملٌ، لأنا إضافة إلى الاحتفاء بولادتهم الجسمانية، نهتم بفضائلهم الروحية والمعنوية، ونحتشد لإحياء ما قدموه للإنسانية من خدمات عظيمة تستحق الاحتفال والتذكر دوماً.

لذا فإن الاحتفال بـ «عيد الغدير» هو باعتبار عظمة الذكرى[3] أولاً، وباعتبار أنّ الإمام (عليه السلام) علّمنا في هذا اليوم كيف نصل إلى الأمن والسلام، والسعادة والهناء وكيف نستعمل الأمور المادية لخير الإنسانية، وكيف نستفيد من الحياة لصالح الآخرة ونعيمها، وان لا نبيع آخرتنا الباقية لدنيانا الفانية، ولا العكس بأن نترك دنيانا ونتناساها بالمرة من أجل الآخرة، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ليس منا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه»[4] وهذا هو الكسب الإنساني الصحيح؛ لأنّ في اتباع ذلك الفوز بحياة سعيدة في الدنيا، وبالجنة والنجاة من النار في الآخرة.

نعم، إن عيد الغدير هو إحياء للمعنويات إلى جانب الماديات، فهو يوم تعيين الخلافة لعلي (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) مضافاً إلى أنه أمر معنوي سماوي نزل به جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولهذا يعتبر هذا العيد من أهم وأعظم الأعياد عند المسلمين. وفي ذلك قال أحد أصحاب الأئمة (عليهم السلام): سألت أبا عبد الله (عليه السلام) هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟

قال (عليه السلام): «نعم، أعظمها حرمة».

قلت: وأي عيد هو جعلت فداك؟!

قال (عليه السلام): «اليوم الذي نصب فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقال: من كُنت مولاه فعلي مولاه».

قلت: وأي يوم هو؟

قال (عليه السلام): «وما تصنع باليوم؟ إنّ السنة تدور، ولكنه يوم ثمانية عشر من ذي الحجة».

فقلت: ما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟

قال: «تذكرون الله (عزّ ذكره) فيه بالصيام والعبادة، والذكر لمحمد وآل محمد، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يُتخذ ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً»[5].

فعلى المسلمين اليوم أن يجعلوا هذا اليوم حافزاً لهم لعمل الخير والصلاح، والاتجاه إلى الله في كل عمل من أعمالهم، والوقوف بوجه الظالمين وأعداء الدين، ليزدادوا قرباً من العلي القدير.

الهوامش:

[1] سورة المائدة: 3.

[2] وسائل الشيعة: ج15 ص308 ب41 ح20599.

[3] عظمة نعمة الإمامة والولاية على البشرية التي صدع بها خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله).

[4] من لا يحضره الفقيه: ج3 ص156 باب المعايش والمكاسب ح3568.

[5] الكافي: ج4 ص149 باب صيام الترغيب ح3.

يوم البشرى

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[1].

نزلت هذه الآية الكريمة على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) تأمره أن يبلّغ ما أمره الله سبحانه به.

وقد ذكر ثقاة المفسرين أنها نزلت على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) لكي يبلّغ ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الناس، وقد ذكر المفسرون والمؤرخون والمحدثون جميعاً في تفسير هذه الآية: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قرّر الذهاب إلى الحج في السنة الأخيرة من حياته، والذي عرف فيما بعد بحجة الوداع[2]، فوجّه (صلى الله عليه وآله) نداءه إلى المسلمين كافة يدعوهم فيه إلى أداء فريضة الحج وتعلّم مناسكه منه، فانتشر نبأ سفره، وصدى ندائه في المسلمين جميعاً، وتوافد الناس إلى المدينة المنورة، وانضمّوا إلى موكب الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى بلغ عدد الذين خرجوا معه (120) ألفاً على أغلب الروايات، وفي بعض مصادر العامة (180) ألفاً، والتحق بالنبي (صلى الله عليه وآله) ناس كثيرون من اليمن ومكة وغيرهما[3]، ولمّا أدى الرسول (صلى الله عليه وآله) مناسك الحج انصرف راجعاً إلى المدينة، وخرجت المسيرة التي كانت تربو على (120) ألفاً من المسلمين، حتى وصلت إلى أرض تسمى «خُم»[4] وفيها غدير اجتمع فيه ماء المطر يدعى (غدير خم) وكان وصولهم إليه في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة من عام حجة الوداع وفي سنة عشر من مهاجره (صلى الله عليه وآله).

وعندما وصلت المسيرة العظيمة إلى هذه المنطقة هبط الأمين جبرئيل من عند الله تعالى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هاتفاً بالآية الكريمة: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ))[5] أي: في علي (عليه السلام) فأبلغ جبرئيل الرسول (صلى الله عليه وآله) رسالة الله إليه: بأن يقيم علي بن أبي طالب (عليه السلام) إماماً على الناس وخليفة من بعده ووصياً له فيهم، وأن يبلغهم ما نزل في علي (عليه السلام) من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد.

فتوقف النبي (صلى الله عليه وآله) عن المسير وأمر أن يلحق به من تأخر عنه ويرجع من تقدم عليه، وكان الجو حاراً جداً حتى كان الرجل منهم يتصبب عرقاً من شدة الحر وبعضهم كان يضع بعض ردائه على رأسه والبعض الآخر تحت قدميه لإتقاء جمرة الحر وشدته.

وأدركتهم صلاة الظهر فصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناس ومدت له ظلال على شجرات ووضعت أحداج الإبل بعضها فوق بعض حتى صارت كالمنبر، فوقف الرسول (صلى الله عليه وآله) عليها لكي يشاهده جميع الحاضرين ورفع صوته من الأعماق ملقياً فيهم خطبة بليغة مسهبة، ما زالت تصكُّ سمع الدهر، افتتحها بالحمد والثناء على الله سبحانه، وركّز حديثه وكلامه حول شخصية خليفته الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذكر فضائله ومناقبه ومزاياه ومواقفه المشرّفة ومنزلته الرفيعة عند الله ورسوله، وأمر الناس بطاعته وطاعة أهل بيته الطاهرين، وأكّد أنهم حجج الله تعالى الكاملة، وأولياؤه المقرَّبون وأُمناؤه على دينه وشريعته، وأنّ طاعتهم طاعة الله تعالى ورسوله ومعصيتهم معصية لله، وإنّ شيعتهم في الجنة ومخالفيهم في النار.

وكان مما قال (صلى الله عليه وآله) بعدما نزلت آية: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[6]: «يا أيها الناس، إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن أُدعى فأجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ » فقالوا: نشهد أنك قد بلَّغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

فقال (صلى الله عليه وآله): «ألستم تشهدون أن لا إله الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حقّ وناره حقّ، وإنّ الموت حقّ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور».

قالوا: بلى نشهد بذلك.

فقال (صلى الله عليه وآله): «اللهم اشهد»، ثم قال: «أيها الناس ألا تسمعون؟ ».

قالوا: نعم.

فقال (صلى الله عليه وآله): «فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى[7] فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين».

فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال (صلى الله عليه وآله): «الثقل الأكبر: كتاب الله، طرف بيد الله عزوجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا»! ثم أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد الإمام علي (عليه السلام) فرفعها حتى بان بياض إبطيهما وعرفه القوم أجمعون.

فقال (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس مَن أولى الناس بالمؤمنين مِن أنفسهم؟ ».

فقالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه ـ يقولها ثلاث مرات ـ ثم قال: اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأحب من أحبَّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب»[8].

ثم تابع رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطبته فقال:

«فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله قد نصبه لكم إماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماض حكمه جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم وعلي إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة، لا حلال إلا ما حلله الله وهم، ولا حرام إلا ما حرمه الله وهم فصلوه، فما من علم إلا وقد أحصاه الله في ونقلته إليه ـ في أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ.

لا تضلوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتم على الله أن يفعل ذلك، وأن يعذبه عذابا نكرا أبد الآبدين، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه.

قولي عن جبرائيل عن الله فـ ((لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ))[9] افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر لكم ذلك إلا من أنا آخذ بيده شائل بعضده. ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت.

إن الله قال وأنا قلت عنه: لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره».

ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبته (صلى الله عليه وآله) وقال:

«معاشر الناس، هذا أخي ووصيي، وواعي علمي، وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربي، اللهم إنك أنزلت عند تبيين ذلك في علي ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ))[10] بإمامته، فمن لم يأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فـ ((أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ))[11]... »[12].

ثم تابع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) خطبته وحثَّ الناس على إتباع علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته،

وانتهت الخطبة النبوية المسهبة والتي تناولت أموراً كثيرة وحيوية بتعيين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أميراً على المؤمنين ووصياً وخليفة لرسول ربِّ العالمين.

وقبل أن يتفرق الناس هبط جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالآية الكريمة: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً))[13] وقد جاء في التفاسير: بأنّ هذه الآية جاءت بعد أنّ نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبأمر من الله تعالى علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) إماماً على العالمين، وتسمى هذه الآية بآية الكمال أي كمال الدين، وهي ـ بحسب بعض الروايات ـ آخر فريضة أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله)[14].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عرفات يوم الجمعة أتاه جبرئيل، فقال له: يا محمد، إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: قل لأمتك: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)) بولاية علي بن أبي طالب ((وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً))، ولست أنزل عليكم بعد هذا، قد أنزلت عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة[15]، ولست أقبل هذه الأربعة إلاّ بها»[16].

وقد رأينا هنا أن نورد الخطبة كاملة وكما ذكرها السيد ابن طاووس الحلي الحسني[17]:

عن زيد بن أرقم قال: لما أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع جاء حتى نزل بغدير خم بالجحفة بين مكة والمدينة، ثم أمر بالدوحات بقم[18] ما تحتهن من شوك، ثم نودي بالصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم شديد الحر، وإن منا من يضع رداءه تحت قدميه من شدة الحر والرمضاء، ومنا من يضعه فوق رأسه، فصلى بنا (صلى الله عليه وآله) ثم التفت إلينا فقال:

«الحمد لله الذي علا في توحيده ودنا في تفرده وجل في سلطانه وعظم في أركانه وأحاط بكل شيء وهو في مكانه وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه، حميدا لم يزل ومحمودا لا يزال ومجيدا لا يزول، ومبديا ومعيدا وكل أمر إليه يعود، بارئ الممسوكات وداحي المدحوات، متفضل على جميع من برأه متطول على كل من ذرأه، يلحظ كل نفس والعيون لا تراه، كريم حليم ذو أناة قد وسع كل شيء رحمته ومن عليهم بنعمته، لا يعجل بانتقامه ولا يبادر إليهم بما يستحقون من عذابه، قد فهم السرائر وعلم الضمائر ولم يخف عليه المكنونات ولا اشتبه عليه الخفيات، له الإحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة في كل شيء والقدرة على كل شيء، ليس كمثله شيء، وهو منشئ حي حين لا حي، ودائم حي وقائم بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

جل أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، لا يلحق وصفه أحد من معاينة، ولا يحده أحد كيف هو من سر وعلانية إلا بما دل هو عز وجل على نفسه، أشهد له بأنه الله الذي ملأ الدهر قدسه والذي يغشى الأمد نوره وينفذ أمره بلا مشاورة ولا مع شريك في تقدير ولا يعاون في تدبيره، صور ما ابتدع على غير مثال، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلف ولا اختبال، شاءها فكانت، وبرأها فبانت.

فهو الله لا إله إلا هو المتقن الصنعة والحسن الصنيعة، العدل الذي لا يجور، والأكرم الذي إليه مرجع الأمور، أشهد أنه الله الذي تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لهيبته، مالك الأملاك ومسخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا، قاصم كل جبار عنيد وكل شيطان مريد، لم يكن له ضد ولم يكن معه ند، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، إلها واحدا ماجدا، شاء، فيمضي ويريد ويقضي ويعلم ويحصي ويميت ويحيي ويفقر ويغني ويضحك ويبكي و يدني ويقصي ويمنع ويعطي، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

لا يولج الليل في نهار ولا مولج لنهار في ليل، إلا هو مستجيب للدعاء، مجزل العطاء محصي الأنفاس رب الجنة والناس، الذي لا يشكل عليه لغة ولا يضجره مستصرخ لا يبرمه إلحاح الملحين، العاصم للصالحين والموفق للمفلحين مولى المؤمنين ورب

العالمين، الذي استحق من كل خلق أن يشكره ويحمده على كل حال.

أحمده كثيرا وأشكره دائما على السراء والضراء والشدة والرخاء، وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله، أسمع لأمره وأطيع وأبادر إلى رضاه وأسلم لما قضاه، رغبة في طاعته وخوفا من عقوبته؛ لأنه الله الذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره، أقر له على نفسي بالعبودية وأشهد له بالربوبية وأؤدي أن لا إله إلا هو، لأنه قد أعلمني أني إذا لم أبلغ ما أنزل إلي لما بلغت رسالته، وقد ضمن لي العصمة وهو الله الكافي الكريم. أوحى إلي: ((بسم الله الرحمن الرحيم يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))[19] - إلى آخر الآية -.

معاشر الناس، وما قصرت فيما بلغت، ولا قعدت عن تبليغ ما أنزله، وأنا أبين لكم سبب هذه الآية: إن جبرئيل (عليه السلام) هبط إلي مرارا ثلاثا، فأمرني عن السلام رب السلام، أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي، الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، ووليكم بعد الله ورسوله نزل بذلك آية هي: ((إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ))[20]. وعلي بن أبي طالب الذي أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع، يريد الله تعالى في كل حال.

فسألت جبرئيل (عليه السلام) أن يستعفي لي السلام من تبليغي ذلك إليكم أيها الناس؛ لعلمي بقلة المتقين وكثرة المنافقين ولأعذال الظالمين وأدغال الآثمين وحيلة المستشرين، الذين وصفهم الله تعالى في كتابه بأنهم: ((يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ))[21] ويحسبونه ((هَيِّناً وهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ))[22]، وكثرة أذاهم لي مرة بعد أخرى، حتى سموني أذنا، وزعموا أني هو لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه وهواه وقبوله مني، حتى أنزل الله تعالى في ذلك لا إله إلا هو: ((الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ))[23] - إلى آخر الآية - ولو شئت أن أسمي القائلين بأسمائهم لأسمينهم، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت، وأن أدل عليهم لدللت، ولكني والله بسترهم قد تكرمت.

وكل ذلك لا يرضى الله مني إلا أن أبلغ ما أنزل إلي ((بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ))[24] - إلى آخر الآية - واعلموا معاشر الناس ذلك وافهموه. واعلموا أن الله قد نصبه لكم وليا وإماما، فرض طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين بإحسان، وعلى البادي والحاضر، وعلى العجمي والعربي، وعلى الحر والمملوك، والصغير والكبير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كل موجود، ماض حكمه وجاز قوله ونافذ أمره، ملعون من خالفه ومرحوم من صدقه، قد غفر الله لمن سمع وأطاع له.

معاشر الناس، إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد، فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر الله ربكم، فإن الله هو مولاكم وإلهكم، ثم من دونه رسوله ونبيه محمد القائم المخاطب لكم، ومن بعده علي وليكم وإمامكم، ثم الإمامة في ولدي الذين من صلبه إلى يوم القيامة ويوم يلقون الله ورسوله، لا حلال إلا ما أحله الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله عليكم، وهو والله عرفني الحلال والحرام، وأنا وصيت بعلمه إليه.

معاشر الناس، فصلوه ما من علم إلا وقد أحصاه الله في، وكل علم علمته فقد علمته عليا، وهو المبين لكم بعدي.

معاشر الناس، فلا تضلوا عنه ولا تفروا منه، ولا تستنكفوا عن ولايته، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهق الباطل وينهى عنه، لا تأخذه في الله لومة لائم، أول من آمن بالله ورسوله، والذي فدى رسول الله بنفسه، والذي كان مع رسول الله، ولا يعبد الله مع رسوله غيره.

معاشر الناس، فضلوه فقد فضله الله، واقبلوه فقد نصبه الله.

معاشر الناس، إنه إمام من الله، ولن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر الله له حتما على الله أن يفعل ذلك، وأن يعذبه عذابا نكرا أبد الأبد، ودهر الدهر، واحذروا أن تخالفوا فتصلوا بنار ((وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِين))[25].

معاشر الناس، لي والله بشرى لأكون من النبيين والمرسلين والحجة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين، فمن شك في ذلك فقد كفر كفر الجاهلية الأولى، ومن شك في شيء من قولي فقد شك في الكل منه، والشاك في ذلك في النار.

معاشر الناس، حباني الله بهذه الفضيلة منا منه علي وإحسانا منه إلي، لا إله إلا هو، ألا له الحمد مني أبد الأبد، ودهر الدهر على كل حال.

معاشر الناس، فضلوا عليا فهو أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى، مانزل الرزق وبقي الخلق، ملعون ملعون من خالفه مغضوب عليه، قولي عن جبرئيل، وقول جبرئيل عن الله عز وجل، فلتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله أن يخالفوه إن الله خبير بما تعملون.

معاشر الناس، تدبروا القرآن وافهموا آياته ومحكماته، ولا تبتغوا متشابهه؛ فوالله لن يبين لكم زواجره، ولن يوضح لكم تفسيره، إلا الذي أنا آخذ بيده، ومصعده إلي، وشائل عضده ورافعها بيدي، ومعلمكم، من كنت مولاه فهو مولاه، وهو علي بن أبي طالب أخي ووصيي، أمر من الله نزله علي.

معاشر الناس، إن عليا والطيبين من ولدي من صلبه هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر، وكل واحد منهما مبني على صاحبه، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، أمر من الله في خلقه وحكمه في أرضه. ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد نصحت، ألا إن الله تعالى قال، وأنا قلت عن الله، ألا وإنه لا أمير للمؤمنين غير أخي هذا، ألا ولا يحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره».

ثم ضرب بيده إلى عضده فرفعه، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) منذ أول ما صعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) منبره على درجة دون مقامه، متيامنا عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كأنهما في مقام واحد، فرفعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده وبسطها إلى السماء، وشال عليا (عليه السلام) حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال:

«معاشر الناس، هذا علي أخي ووصيي، وواعي علمي، وخليفتي على من آمن بي، وعلى تفسير كتاب ربي، والدعاء إليه، والعمل بما يرضاه، والمحاربة لأعدائه، والدال على طاعته، والناهي عن معصيته، خليفة رسول الله، وأمير المؤمنين، والإمام والهادي من الله، بأمر الله، يقول الله عز وجل: ((ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ))[26] بأمرك أقول: اللهم، وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من أنكره، واغضب على من جحده، اللهم، إنك أنزلت الآية في علي وليك عند تبين ذلك ونصبك إياه لهذا اليوم: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً))[27]، ((ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ))[28]، اللهم، إني أشهدك أني قد بلغت.

معاشر الناس، إنما أكمل الله لكم دينكم بإمامته، فمن لم يأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله، فـ ((أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ))[29] لا يخفف العذاب عنهم ولا هم ينظرون.

معاشر الناس، هذا أنصركم لي، وأحق الناس بي، والله عنه وأنا راضيان، وما أنزلت آية رضا إلا فيه، ولا خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به، وما أنزلت آية في مدح في القرآن إلا فيه، ولا سأل الله بالجنة في ((هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسان))[30] إلا له، ولا أنزلها في سواه، ولا مدح بها غيره.

معاشر الناس، هو يؤدي دين الله، والمجادل عن رسول الله، والتقي النقي الهادي المهدي نبيه، خير نبي، ووصيه خير وصي.

معاشر الناس، ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب أمير المؤمنين علي.

معاشر الناس، إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم، أهبط آدم بخطيئته وهو صفوة

الله، فكيف أنتم؟ فإن أبيتم فأنتم أعداء الله. ما يبغض عليا إلا شقي، ولا يوالي عليا إلا تقي، ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص، في علي والله نزل سورة والعصر ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، والْعَصْرِ، إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ))[31] إلا علي، الذي آمن ورضي بالحق والصبر.

معاشر الناس، قد أشهدني الله وأبلغتكم، ((وما عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِين))[32].

معاشر الناس، ((اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))[33].

معاشر الناس، آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلناه ((مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ))[34].

معاشر الناس، النور من الله تعالى فيّ، ثم مسلوك في علي، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي، الذي يأخذ بحق، وبكل حق هو لنا، بقتل المقصرين والغادرين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس، إني أنذر لكم أني رسول الله، قد خلت من قبلي الرسل، فإن مت أو قتلت ((انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ))[35] ألا إن عليا الموصوف بالصبر والشكر، ثم من بعده ولدي من صلبه.

معاشر الناس، على الله فينا ما لا يعطيكم الله ويسخط عليكم ويبتليكم بسوط عذاب، إن ربكم لبالمرصاد.

معاشر الناس، سيكون بعدي أئمة يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون.

معاشر الناس، إن الله تعالى وأنا بريئان منهم.

معاشر الناس، إنهم وأشياعهم وأنصارهم وأتباعهم ((فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ))[36] و ((فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ))[37].

معاشر الناس، إني أدعها إمامة ووراثة، وقد بلغت ما بلغت، حجة على كل حاضر وغائب، وعلى كل أحد ممن ولد وشهد، ولم يولد ولم يشهد، يبلغ الحاضر الغائب، والوالد الولد إلى يوم القيامة، وسيجعلونها ملكا واغتصابا، فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان من يفرغ و ((يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ ونُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ))[38].

معاشر الناس، إن الله تعالى لم يكن ليذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب.

معاشر الناس، إنه ما من قرية إلا والله مهلكها قبل يوم القيامة، ومملكها الإمام المهدي، والله مصدق وعده.

معاشر الناس، قد ضل قبلكم أكثر الأولين، والله فقد أهلك الأولين بمخالفة أنبيائهم، وهو مهلك الآخرين»، ثم تلا (صلى الله عليه وآله) الآية إلى آخرها.

ثم قال:

«معاشر الناس، إن الله أمرني ونهاني، وقد أمرت عليا ونهيته، وعلم الأمر والنهي لديه، فاسمعوا لأمره، وتنهوا لنهيه، ولا يفرق بكم السبل عن سبيله.

معاشر الناس، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم الله أن تسلكوا الهدى إليه، ثم علي من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمة الهدى، يهدون بالحق وبه يعدلون»، ثم قرأ (صلى الله عليه وآله) الحمد[39].

وقال: «فيمن ذكرت ذكرت فيهم، والله، فيهم نزلت، ولهم والله شملت، وآباءهم خصت وعمت، أولئك أولياء الله ((لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ))[40] و ((حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ))[41]، ألا إن أعداءهم هم الشقاء والغاوون وإخوان الشياطين، الذين ((يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً))[42]، ألا إن أولياءهم الذين ذكر الله في كتابه، المؤمنين الذين وصف الله فقال: ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ))[43] - إلى آخر الآية -، ألا إن أولياءهم المؤمنون الذين وصفهم الله أنهم ((لَمْ يَلْبِسُوا

إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهُمْ مُهْتَدُونَ))[44] ألا إن أولياءهم الذين آمنوا ولم يرتابوا، ألا إن أولياءهم الذين يدخلون الجنة بسلام آمنين، وتتلقاهم الملائكة بالتسليم أن ((طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ))[45] ألا إن أولياءهم لهم ((الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ))[46]، ألا إن أعداءهم الذين ((سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً))[47]، ألا إن أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقا، ويرون لها زفيرا ((كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها))[48] - إلى آخر الآية -، ألا إن أعداء الله الذين قال الله: ((كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ))[49] - إلى آخر الآية -، ألا ((فَسُحْقاً لأَصْحابِ السَّعِيرِ))[50]، ألا وإن أولياءهم ((الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ))[51].

معاشر الناس، شتان ما بين السعير والأجر الكبير.

معاشر الناس عدونا كل من ذمه الله ولعنه ووليا كل من أحبه الله ومدحه. معاشر الناس ألا إني النذير وعلي البشير. معاشر الناس إني منذر وعلي هاد.

معاشر الناس ألا إني نبي وعلي وصي. معاشر الناس ألا إني رسول وعلي الإمام والأئمة من بعده ولده والأئمة منه ومن ولده ألا وإني والدهم وهم يخرجون من صلبه.

ألا وإني والدهم وخاتم الأئمة منا القائم المهدي الظاهر على الدين. ألا إنه المنتقم من الظالمين. ألا إنه فاتح الحصون وهادمها. ألا إنه غالب كل قبيلة من الترك وهاديها. ألا إنه المدرك لكل ثار لأولياء الله. ألا إنه ناصر دين الله. ألا إنه المصباح من البحر العميق الواسم لكل ذي فضل بفضله وكل ذي جهل بجهله. ألا إنه خيرة الله ومختاره. ألا إنه وارث كل علم والمحيط بكل فهم ألا إنه المخبر عن ربه والمشيد لأمر آياته. ألا إنه الرشيد السديد. ألا إنه المفوض إليه. ألا إنه قد بشر به كل نبي سلف بين يديه. ألا إنه الباقي في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في علانيته وسره.

معاشر الناس، إني قد بينت لكم وأفهمتكم وهذا علي يفهمكم بعدي. ألا وعند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي على يدي ببيعته والإقرار له ثم مضافقته[52] بعد يدي. ألا إني قد بايعت الله وعلي قد بايع لي وأنا أمدكم بالبيعة له عن الله عز وجل: ((فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ))[53] - إلى آخر الآية - معاشر الناس، ألا وإن الحج والعمرة من شعائر الله ((فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ))[54] - إلى آخر الآية - معاشر الناس، حجوا البيت فما ورده أهل بيت إلا تموا وأبشروا ولا تخلفوا عنه إلا تبروا وافتقروا.

معاشر الناس، ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك فإذا انقضت حجته استؤنف به معاشر الناس الحاج معانون ونفقاتهم مخلفة عليهم والله لا يضيع أجر المحسنين.

معاشر الناس، حجوا بكمال في الدين وتفقه ولا تنصرفوا عن المشاهد إلا بتوبة إقلاع.

معاشر الناس أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمرتكم فإن طال عليكم الأمد فقصرتم أو نسيتم فعلي وليكم الذي نصبه الله لكم ومن خلقه مني وأنا منه يخبركم بما تسألون ويبين لكم ما لا تعلمون. ألا وإن الحلال والحرام أكثر من أن أحصيها وأعدها فآمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد، وأمرت فيه أن آخذ البيعة عليكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به من الله عز وجل في علي أمير المؤمنين والأوصياء من بعده الذين هم مني ومنه إمامة فيهم قائمة خاتمها المهدي إلى يوم يلقى الله الذي يقدر ويقضي.

ألا معاشر الناس وكل حلال دللتكم عليه وحرام نهيتكم عنه فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل. ألا فادرسوا ذلك واحفظوه وتواصوا به ولا تبدلوه. ألا وإني أجدد القول. ألا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر. ألا وإن رأس الأمر بالمعروف أن تنبهوا قولي إلى من يحضر ويأمروه بقبوله عني ونبهوه عن مخالفته فإنه أمر من الله تعالى».

فهذه هي البشرى، بشرى ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) فمن تمسّك بها فاز بدنيا سعيدة، وآخرة حميدة بأعلى الجنان، ومن لا يؤمن بها فقد ضل ضلالاً مُبيناً وخسر دنياه وآخرته.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والعاملين بها[55].

ولهذه المناسبة العظيمة نذكر قصيدة في مدح أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) أوردها الشيخ الكفعمي في مصباحه ذكر فيها من فضائله قليلاً من كثير مع الإشارة فيها إلى يسير من أسماء يوم الغدير[56]:

هنيئا هنيئا ليوم الغدير*ويوم النصوص ويوم السرور**

ويوم الكمال لدين الإله*وإتمام نعمة رب غفور**

ويوم الدليل على المرتضى*ويوم البيان لكشف الضمير**

ويوم الرشاد وإبداء ما*تجن به مضمرات الصدور**

ويوم الأمان ويوم النجاة*ويوم التعاطف ويوم الحبور**

ويوم الصلاة ويوم الزكاة*ويوم الصيام ويوم الفطور**

يوم العقود ويوم الشهود*ويوم العهود لصنو البشر**

ويوم الطعام ويوم الشراب*ويوم اللباس ويوم النحور**

ويوم تواصل أرحامكم*ويوم العطاء وبر الفقير**

ويوم تفرج كرب الوصي*بموت ابن عفان أهل الفجور**

ويوم لشيث ويوم لهود*ويوم لإدريس ما من نكير**

ويوم نجاة النبي الخليل*من النار ذات الوقود السعير**

ويوم الظهور على الساحرين*وإغراق فرعون ماء البحور**

ويوم لموسى وعيسى معا*ويوم سليمان من غير ضير**

ويوم الوصية للأنبياء*على الأوصياء بكل الدهور**

ويوم انكشاف المقام الصراح*وإيضاح برهان سر الأمور**

ويوم الجزاء وحط الآثام*ويوم الميارة للمستمير**

ويوم البشارة يوم الدعاء*وعيد الإله العلي الكبير**

ويوم البياض ونزع السواد*وموقف عز خلا من نظير**

ويوم السباق ونفي الهموم*وصفح الإله عن المستجير**

ويوم اشتمام أريج المسوك*وعنبرها وأريج العبير**

ويوم مصافحة المؤمنين*ويوم التخلص من كل ضير**

ويوم الدليل على الرائدين*ومحنة عبد ويوم الطهور**

ويوم انعتاق رقاب جنت*من النار يا صاح ذات السعير**

ويوم الشروط ونشر النزاع*وترك الكبائر بعد الغرور**

ويوم النبي ويوم الوصي*ويوم الأئمة من غير زور**

ويوم الخطابة من جبرئيل*بمنبر عز على السرير**

ويوم الفلاح ويوم النجاح*ويوم الصلاح لكل الأمور**

ويوم يكف يراع الإله*من المؤمنين بنسخ الشرور**

ويوم التهاني ويوم الرضا*ويوم استزادة رب شكور**

ويوم استراحة أهل الولاء*ويوم تجارة أهل الأجور**

ويوم الزيارة للمؤمنين*ويوم ابتسام ثنايا الثغور**

ويوم التودد للأولياء*وإلباس إبليس ثوب الدحور**

ويوم انشراح أهيل الصلاح*وحزن قلوب أهيل الفجور**

ويوم ارتغام أنوف العداء*ويوم القبول وجبر الكسير**

ويوم العبادة يوم الوصول*إلى رحمات العلي القدير**

ويوم السلام على المصطفى*وعترته الأطهرين البدور**

ويوم الإمارة للمرتضى*أبي الحسنين الإمام الأمير**

ويوم اشتراط ولاء الوصي*على المؤمنين بيوم الغدير**

ويوم الولاية في عرضها*على كل خلق السميع البصير**

ويوم الزيادة ما ينفقون*بمائة ألف خلت من نظير**

ويوم المعارج في رفعها*وأنباء فضل عظيم كبير**

فهذا الإمام عديم النظير*وأنى يكون له من نظير**

وأين الصباب وأين السحاب*وليس الكواكب مثل البدور**

ومن يجعل الوجه مثل القفا*ومن يجعل النور مثل (بدر) الدجور**

ومن يجعل الأرض مثل السماء*وليس الصحيح كمثل الكسير**

وأين الثريا وأين الثرى*وليس العناق كمثل النمير**

ومن يجعل الضبع مثل الأسود*ومن يجعل النهر مثل البحور**

وليس العصي شبيه السيوف*ومن يجعل الصعو مثل الصقور**

وأين المعلى وأين السفيح*وليس الوفاة كمثل النشور**

وأين المجلى وأين اللطيم*وليس البصير كمثل الضرير**

ومن يجعل الدر مثل الحصى*ودرهم زيف كمثل النضير**

علي الوصي وصي النبي*وغوث الولي وحتف الكفور**

إمام الأنام ونور الظلام*وغيث الغمام الهطول الغزير**

فين النجاة وعين الحياة*ومردي الكماة بسيف مبير**

حمام الطغاة وهادي الهداة*مبيد الشراة بأرض الثبور**

غياث المحول وزوج البتول*وصنو الرسول السراج المنير**

فصيح المقال مليح الفعال*عظيم الجلال وصي البشير**

أمير الثبات عظيم البيات*بحرب العداة وفك الأسير**

ثبيت الأساس زكي الغراس*جميل النحاس وبدر البدور**

نقي الجيوب شجاع الحروب*ونافي الكروب ببأس مرير**

ذكي البخار عظيم الفخار*ومجدي النضار إلى المستجير (المستمير)**

أمان البلاد وساقي العباد*بيوم المعاد بعذب نمير**

صلاح الزمان وغيث هتان*قسيم الجنان قسيم السعير**

همام الصفوف ومقري الضيوف*وعند الزحوف كليث هصور**

مزيل الشرور وصدر الصدور*حياة الشكور وموت الكفور**

علي العماد وواري الزناد*دليل الرشاد إلى كل خير**

أقام الصلاة وآتى الزكاة*ومولى العفاة وجبر الكسير**

هو الهاشمي هو الأبطحي*هو الطالبي وبدر البدور**

مكلم ذئب الفلا جهرة*وقالع صخر قليب النمير**

و من قد هوى النجم في داره*ومن قاتل الجن في قعر بير**

مزك بخاتمه راكعا*ومجدي الإجارة للمستجير**

و جاء الحديث من المصطفى*علي مع الحق في كل دور**

حديث المحبة لا يختفي*يضاهي الذكاء إذا في الظهور**

رتاج مدينة علم النبي*ويعسوب دين الإله المنير**

مقام علي من المصطفى*كموسى وهارون ما من نكير**

فراش النبي علاه نيام*بمكة يفديه من كل ضير**

و سل عنه بدرا واحدا ترى*له سطوات شجاع جسور**

و سل عنه عمرا وسل مرحبا*وسل عنه صفين ليل الهرير**

و كم نصر الطهر في معرك*بسيف صقيل وعزم مرير**

و في وقعة الجمل العائشي*بنصف جمادى خلا من نظير**

غزاة السلاسل لا تنسها*وهضام أسكنه في القبور**

و ست وعشرون حرب روي*مع الهاشمي البشير النذير**

و كم بذل النفس يوم النزال*فيردي الكماة بقطع النحور**

خفيف على صهوات الجياد*ثقيل على سطوات الكفور**

أمير السرايا بأمر النبي*وما من عليه بها من أمير**

إمام مكلم أهل الرقيم*بعيد الممات قبيل النشور**

و ثعبان مسجده جهرة*أتاه وكلمه في الحضور**

و سد النبي لأبوابهم*سوى بابه فتحت للمرور**

و في السطل والماء فخرا له*بعثه الإله لأجل الطهور**

همام قضى الله في عرشه*ولادته في المكان الخطير**

و ردت له الشمس في بابل***وآثر بالقرص قبل الفطور

ترى ألف عبد له معتقا***ويختار في القوت قرص الشعير

و سار على الريح فوق البساط***نقله المؤالف من غير مزور

إمام قد أنبأ بالغائبات***بجمع عظيم وجم غفير

وغسل سلمان في ليلة***وعاد إلى طيبة في الدجور

وداد أتاه من المؤمنين***بسورة مريم ما من نكير

وفي سورة الرعد سماه هاد***واسم النبي بمعنى النذير

وآية من يشتري نفسه***ذكره الإله بطرس الزبور

وفي مدحه نزلت هل أتى***وفي ولديه وبنت البشير

جزاهم بما صبروا جنة***وملكا كبيرا ولبس الحرير

و حلوا أساور من فضة***ويسقيهم من شراب طهور

و كم آية نزلت فيهم***بطرس الكتاب خلال السطور

كآي الولاية ثم التناجي***وآي المودة ما من نكير

و آي التباهل دلت على***مقام عظيم ومجد كبير

وآية ((كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ))[57] ***وقد شركوا بالكتاب المنير

من الرجس قد عصموا في الكتاب***وأعطى الإمامة (الأمانة) من غير زور

إمامي علي لسان البليغ***قد أضحى بوصفكم في حسور

و كيف نقول لمن قال فيه***رسول الإله اللطيف الخبير

بعجز الملائك والعالمين***عن إحصاء مفخره المستنير

ولو أنهم جهدوا جهدهم***لما وصفوه بعشر العشير

مفاخر تحكي أواذي البحار***ومن ذا يعد أواذي البحور

ومن ذا يعد رمال الورى***وقطر السحاب القوي الغزير

وأولاده الغر سفن النجاة***هداة الأنام إلى كل نور

ومن كتب الله في عرشه***لأسمائهم قبل خلق الدهور

وفي كتب موسى وعيسى ترى***ومن قبلها أثبتت في الزبور

هم الطيبون هم الطاهرون***هم الأكرمون ورفد الفقير

هم الزاهدون هم العابدون***هم الحامدون لرب شكور

هم التائبون هم الراكعون***هم الساجدون لمولى قدير

هم العالمون هم العاملون***هم الصائمون نهار الهجير

إلى آخر القصيدة التي اخترنا منها هذه الأبيات.

الهوامش:

[1] سورة المائدة: 67.

[2] قال الأميني (رحمه الله) في موسوعة الغدير تحت عنوان واقعة الغدير: أجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخروج إلى الحج في سنة عشر من مهاجره، وأذن في الناس بذلك فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته تلك التي يقال عليها: حجة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام، وقال ـ الأميني ـ: إن الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)) الآية، كما أن الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول قوله سبحانه: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)) الآية، انظر الغدير: ج1 ص8.

[3] كان معه (صلى الله عليه وآله) جموع لا يعلمها إلا الله تعالى وقد يقال: خرج معه (90 ألفاً) ويقال: (114 ألف) وقيل: (120 ألف) وقيل: (124 ألف) ويقال أكثر من ذلك، وهذه عدة من خرج معه (صلى الله عليه وآله)، وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع علي (عليه السلام) وأبي موسى كما جاء في السيرة الحلبية: ج3 ص283 وسيرة أحمد زيني دحلان: ج3 ص3، وغيرها من مصادر العامة. أنظر الغدير: ج1 ص9 واقعة الغدير.

[4] هي المنطقة التي تتشعّب منها الطرق إلى المدينة والعراق ومصر واليمن.

[5] سورة المائدة: 67.

[6] سورة المائدة: 67.

[7] منطقة في بلاد الشام، قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

[8] راجع بحار الأنوار: ج37 في أخبار الغدير ص108.

[9] سورة الحشر: 18.

[10] سورة المائدة: 3.

[11] سورة التوبة: 17.

[12] أنظر الصراط المستقيم: ج1 ص301 ب9.

[13] سورة المائدة: 3.

[14] أنظر تفسير العياشي: ج1 ص293 ح20، 21، 22، تفسير قوله تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً))، وأنظر تفسير القمي: ج1 ص162 تفسير سورة المائدة، وتفسير فرات الكوفي: ص120 تفسير سورة المائدة، والتبيان في تفسير القرآن: ج3 ص413 تفسير سورة المائدة، وتفسير مجمع البيان: ج3 ص257 سورة المائدة وفضلها، وتفسير الصافي: ج2 ص5 سورة المائدة، وتفسير الأصفى: ج1 ص260، وتفسير نور الثقلين: ج1 ص587 سورة المائدة، وأنظر شواهد التنزيل للحافظ الحسكاني: ج1 ص201 ح211 - 219.

[15] أي: الولاية لأمير المؤمنين (عليه السلام).

[16] بحار الأنوار: ج37 ص138 ب52 ح28.

[17] التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين: ص579 القسم 1 ب29.

[18] قَمَّ الشيء قَمّاً: كنسه، أنظر لسان العرب: ج12 ص493 مادة (قم).

[19] سورة المائدة: 67.

[20] سورة المائدة: 55.

[21] سورة الفتح: 11.

[22] سورة النور: 15.

[23] سورة التوبة: 61.

[24] سورة المائدة: 67.

[25] سورة البقرة: 24.

[26] سورة ق: 29.

[27] سورة المائدة: 3.

[28] سورة آل عمران: 85.

[29] سورة التوبة 17.

[30] سورة الإنسان: 1.

[31] سورة العصر: 1- 2.

[32] سورة النور: 54.

[33] سورة آل عمران: 102

[34] سورة النساء: 47.

[35] سورة آل عمران: 144.

[36] سورة النساء: 145.

[37] سورة غافر: 76.

[38] سورة الرحمن: 35.

[39] أي سورة فاتحة الكتاب.

[40] سورة يونس: 62.

[41] سورة المائدة: 56.

[42] سورة الأنعام: 112.

[43] سورة المجادلة: 22.

[44] سورة الأنعام: 82.

[45] سورة الزمر: 73.

[46] سورة غافر: 40.

[47] سورة النساء: 10.

[48] سورة الأعراف: 38.

[49] سورة الملك: 8

[50] سورة الملك: 11.

[51] سورة الملك: 12.

[52] في العدد القوية وردت بلفظ (مصافقته) ص178 خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم.

[53] سورة الفتح: 10.

[54] سورة البقرة: 158.

[55] انظر قصة الغدير وتصريح النبي (صلى الله عليه وآله) بخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من بعده بألفاظ مختلفة وفي أحاديث متواترة رواها الأميني (رحمه الله) في (الغدير)، واليك بعض المصادر من كتب العامة: صحيح ابن حبان: ج15 ص176 ط مؤسسة الرسالة - بيروت، والمستدرك على الصحيحين: ج3 ص118 و126 و613 ط دار الكتب العلمية، ومسند أحمد: ج1 ص84 و88 و118 و119 و152 وج4 ص368 و370 ط مؤسسة قرطبة مصر، ومسند أبي يعلى: ج1 ص249 ط دار المأمون للتراث دمشق، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ج2 ص572 و585 و586 و613 و682 و705 ط مؤسسة الرسالة بيروت، وفضائل الصحابة للنسائي: ج1 ص15 ط دار الكتب العلمية بيروت، ومعجم ما استعجم: ج1 ص368 ط عالم الكتاب - بيروت، وتفسير ابن كثير: ج2 ص15 ط دار الفكر، والأحاديث المختارة: ج2 ص80 و87 و105 و106 و173 و174 و274 وج3 ص213 ط مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، وموارد الظمآن: ص544 ط - دار الكتب العلمية - بيروت، ومجمع الزوائد: ج5 ص14 وج9 ص104 و105 و106 و107 و164 ط دار الريان للتراث - القاهرة، والسنن الكبرى للنسائي: ج5 ص45 و130 و132 و134 و135 و136 و154 ط دار الكتب العلمية - بيروت، ومعتصر المختصر: ج2 ص301 ط عالم الكتب - بيروت، ومسند الشاسي: ج1 ص127 و166 ط - المدينة المنورة، والمعجم الأوسط: ج2 ص257 و369 ط دار الحرمين - القاهرة. ومسند البزار: ج2 ص133 و235 وج3 ص35 ط مؤسسة علوم القرآن - بيروت. والمعجم الصغير: ج1 ص119 ط المكتب الإسلامي - بيروت، والمعجم الكبير: ج2 ص357 وج4 ص16 وج5 ص166 و170 و171 و191 و192 و195 و204 ط - الموصل، وأمالي المحاملي: ص162 ط - الأردن، والسنة لابن أبي عاصم: ج2 ص607 ط المكتب الإسلامي - بيروت، وفيض القدير: ج6 ص218 ط - مصر، والتاريخ الكبير للبخاري: ج4 ص193 ط دار الفكر، وتهذيب التهذيب: ج7 ص296 وج8 ص106 ط دار الفكر - بيروت، وتهذيب الكمال: ج11 ص99 وج20 ص484 وج22 ص398 وج33 ص283 ط مؤسسة الرسالة - بيروت، وتاريخ بغداد: ج8 ص289 ط دار الكتب العلمية - بيروت، ومعجم الصحابة: ج1 ص199 ط - المدينة المنورة، وصفوة الصفوة: ج1 ص313 ط دار المعرفة - بيروت، والاستيعاب: ج3 ص1099 ط دار الجيل - بيروت، والإصابة: ج3 ص592 و597 وج4 ص328 وج7 ص330 ط دار الجيل، ونزهة الحفاظ: ص102 ط مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، وتالي تشخيص المتشابه للخطيب البغدادي: ج1 ص130 ط - الرياض، والعلل المتناهية: ج1 ص226 ط دار الكتب العلمية - بيروت، وانظر تذكرة الحفاظ: ج2 ص713 ط - الرياض، وسير أعلام النبلاء: ج14 ص207 وص274 و277 ط مؤسسة الرسالة - بيروت، وغيرها من كتب العامة والمصادر التاريخية التي ذكرت فيها هذه الواقعة العظيمة.

[56] مصباح الكفعمي: ص700 الفصل 49.

[57] سورة التوبة: 119.

أهل البيت (عليهم السلام) سفن النجاة

تطرّقنا في بداية بحثنا حول يوم الغدير، وإلى أنّ عيد الغدير هو أعظم أعياد المسلمين؛ وذلك لأنّ في هذا اليوم نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة له، وأميراً للمؤمنين من قبل الله تعالى.

وسوف نركّز في بحثنا الآتي على بعض خصائص هذا الإمام العظيم وصفاته الكريمة، لتكون لنا درساً نقتدي بها في العمل والتطبيق؛ فهم (عليهم السلام) سفن النجاة لهذه الأمة، فمن تمسك بهم نجا، ومن تخلف عنهم هلك، وقد قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فيهم: «... إنما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، ومثل باب حطة من دخله نجا ومن لم يدخله هلك»[1].

قطعات من سفينة نوح:

وهنا ننقل كرامة من كرامات أمير المؤمنين وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) الكثيرة، خصّهم الله تعالى بها فجعلهم آية للعالمين، حيث قال تعالى: ((وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ))[2].

ففي تموز عام (1951م) حينما كان جماعة من العلماء السوفييت المختصين بالآثار القديمة ينقّبون في إحدى المناطق، فعثروا على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوسة وبالية، مما دعاهم إلى التنقيب والحفر أكثر وأعمق، فوقفوا على أخشاب أخرى متحجّرة وكثيرة، كانت بعيدة في أعماق الأرض، ومن بين تلك الأخشاب التي توصلوا إليها خشبة على شكل مستطيل طولها (14) عقدة وعرضها (10) عقد سببت دهشتهم واستغرابهم، إذ أنها لم تتغير ولم تتسوَّس، ولم تتناثر كغيرها من الأخشاب الأخرى! وفي أواخر عام (1952م) أكمل التحقيق حول هذه الآثار، فظهر أنّ اللوحة المشار إليها كانت ضمن سفينة النبي نوح (عليه السلام)، وأنّ الأخشاب الأخرى هي حطام سفينة نوح، وشوهد أنّ هذه اللوحة قد نقشت عليها بعض الحروف التي تعود إلى أقدم لغة وبعد الانتهاء من الحفر عام (1953م)، شكلت الحكومة السوفييتية لجنة قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة ومن أهم علماء الآثار، وبعد ثمانية أشهر من دراسة تلك اللوحة والحروف المنقوشة عليها اتفقوا على أنّ هذه اللوحة كانت مصنوعة من نفس الخشب الذي صنعت منه سفينة نوح (عليه السلام)، وأنّ النبي نوحاً (عليه السلام) كان قد وضع هذه اللوحة في سفينته للتبرك والحفظ.

وكانت حروف هذه اللوحة باللغة السامانية وقد ترجمها إلى اللغة الإنكليزية العالم البريطاني (آيف ماكس) أستاذ الألسن القديمة في جامعة مانشستر وهذا نص ترجمتها بالعربية: (يا إلهي ويا معيني، برحمتك وكرمك ساعدني، ولأجل هذه النفوس المقدّسة محمّد، إيليا، شبر، شبير[3]، فاطمة، الذين هم جميعهم عظماء، ومكرّمون، العالم قائم لأجلهم، ساعدني لأجل أسمائهم، أنت فقط تستطيع أن توجه نحو الطريق المستقيم).

وبقي هؤلاء العلماء في دهشة وحيرة كبرى أمام عظمة هذه الأسماء الخمسة المقدسة ومنزلة أصحابها عند الله تعالى، حيث توسل بها نوح (عليه السلام).

واللغز الذي لم يستطع تفسيره أي واحد منهم هو عدم تفسخ هذه اللوحة بالذات رغم مرور آلاف السنين عليها.

أما نحن الشيعة فلا يخالطنا شك أو ريبة في ذلك، لأنّ أهل البيت (عليهم السلام)، هم الذين خلق الله تعالى العالم من أجلهم، ولأجلهم أنزل شرائعه وكتبه، ولأجلهم وبيان فضلهم بقيت هذه اللوحة رغم مرور آلاف السنوات سالمة حتى تكون آية للعالمين، ودلالة على فضل محمد وآله الطيبين الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)[4].

مع الأصبغ بن نباته:

يذكر أحد أصحاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو الأصبغ بن نباته ما رآه من فضائله ومكارمه (عليه السلام) قائلاً: كنت مع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد صلاة العشاء وذهبت معه إلى منزله المتواضع في الكوفة، وكان يحتوي على ساحة وإلى جانبها بيت، وفوق البيت غرفة تتوسط السطح، وفي تلك الليلة نمت أنا وسط ساحة المنزل ونام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الغرفة التي كانت تتوسط السطح، وبعد أن وضعت رأسي على الوسادة بعض الوقت، أحسست بأمير المؤمنين (عليه السلام) قد نزل من السطح وترك فراشه وهو في حالة إرهاق وتعب، فتعجبت من نزوله وهو بهذه الحالة، وقلت له: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تفعل؟

قال الإمام (عليه السلام): الصلاة النافلة.

يقول الأصبغ بن نباته، فقلت له: أنت يا مولاي تعبت في النهار، فمن الصباح إلى المساء تقوم بخدمة الناس، ولا تريد أن تستريح في ليلك، فلماذا تُحمِّل نفسك أكثر مما تطيق؟

فأجابه الإمام (عليه السلام): يا أصبغ، إن نمت النهار ضيّعت رعيتي، وإن نمت الليل ضيّعت نفسي.

نعم، يجب علينا أن نتعلم من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) هذه الروح، وهذا الاستعداد والإخلاص حتى نحصل على سعادتنا في الدنيا والآخرة[5].

أقل الناس مؤونة وأكثرهم معونة:

قال عروة بن الزبير: كنّا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا أخبركم بأقل القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟

قالوا: من؟

قال: علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قال: فوالله، إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له: يا عويمر، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها، فقال أبو الدرداء: يا قوم، إني قائل ما رأيت، وليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب (عليه السلام) بشويحطات النجار وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد علي مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: «إلهي كم من موبقة حملت عني فقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي، إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعينه، فاستترت له فأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما به الله ناجى أن قال: «إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي». ثم قال: «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولاتنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء ـ ثم قال: ـ آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى».

قال: ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حسا ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة! فحركته فلم يتحرك وزويته فلم ينزو! فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله علي

بن أبي طالب (عليه السلام) قال: فأتيت منزله مبادرا أنعاه إليهم فقالت فاطمة (عليها السلام): «يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه ومن قصته؟ » فأخبرتها الخبر فقالت: «هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله»، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إلي وأنا أبكي فقال: «مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟ »

فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: «يا أبا الدرداء، ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء، ورحمني أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية».

فقال أبو الدرداء: فوالله، ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)[6].

نعم، إن أمير المؤمنين (عليه السلام)، هو العالم العابد، والتقي الزاهد، والأبي المجاهد في سبيل الله، وهو الضحّاك إذا اشتد الضراب، فتجده عندما يقبل على ساحة المعركة للجهاد في سبيل الله يقبل وهو مبتسم مبتهج، مشتاق إلى لقاء الله ورضوانه في حين كان الآخرون يرتجفون من دهشتها، ويهابون الموت ويكرهونه[7]، لأنه (عليه السلام) كان يعلم أنه قد أدّى ما عليه من واجبات وأنجز ما عليه من تكاليف، فهو لن يخشى الحرب وضراوتها، لأنه ما كان خائفاً من لقاء الموت بل يرى في الموت لذة وسعادة لأنه لقاء الله تبارك وتعالى[8].

فإن الإمام (عليه السلام) عندما ضربه أشقى الأشقياء قال: «فزت وربّ الكعبة»[9]؛ لأنه (عليه السلام) كان مطمئناً بأنه قد أدى الواجب الشرعي الذي كُلِّف به على أتم صورة، وهذا ما نراه واضحاً من كلامه (عليه السلام) مع ابنته أم كلثوم، فانه (عليه السلام) لما رآها تبكيه عشية وفاته قال لها: «ما يبكيك يا بنية؟ ».

فقالت: «ذكرت يا أبة أنك تفارقنا الساعة فبكيت».

فقال لها: «يا بنية لا تبكين، فو الله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت»

قال حبيب: فقلت له: و ما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟.

فقال: «يا حبيب، أرى ملائكة السماء والنبيين (والأرضين) بعضهم في أثر بعض وقوفا إلى أن يتلقوني، وهذا أخي محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس عندي، يقول: أقدم، فإن أمامك خير لك مما أنت فيه»[10].

وقد قال في مكان آخر: «والله، إن ابن أبي طالب لآنس بالموت من الطفل بثدي أمه»[11].

الهوامش:

[1] بحار الأنوار: ج23 ص105 ب7 ح3.

[2] سورة القمر: 15.

[3] هذه الأسماء (إيليا، شبر، شبير) باللغة السامانية ومعناها بالعربية: علي، الحسن، الحسين (عليهم السلام).

[4] اللوحة موجودة في متحف الآثار القديمة بموسكو.

[5] أنظر تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج2 ص166، وفيه: «سمع رجل من التابعين أنس بن مالك يقول: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((أَمَّن هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ)) (سورة الزمر: 9)، قال الرجل: فأتيت عليا (عليه السلام) لأنظر عبادته، فأشهد الله لقد أتيته وقت المغرب فوجدته يصلي بأصحابه المغرب، فلما فرغ جلس للتعقيب إلى أن قام إلى العشاء الآخرة، ثم دخل منزله فدخلت معه فوجدته طول الليل يصلي ويقرأ القرآن إلى

أن طلع الفجر، ثم جدد وضوئه وخرج إلى المسجد فصلى بالناس صلاة الفجر، ثم جلس في التعقيب إلى أن طلعت الشمس، ثم قصده الناس فجعل يختصم إليه رجلان فإذا فرغا قام آخران، إلى أن قام إلى صلاة الظهر فجدد لصلاة الظهر وضوءه ثم صلى بأصحابه الظهر، ثم قعد في التعقيب إلى أن صلى بهم العصر، ثم أتاه الناس فجعل يقوم إليه رجلان ويقعد رجلان وهو يقضي بينهم ويفتيهم إلى أن غربت الشمس، فخرجت وأنا أقول: أشهد بالله سبحانه أن هذه الآية نزلت فيه».

[6] أمالي الشيخ الصدوق: ص77 المجلس18 ح9.

[7] أمالي الشيخ الصدوق: ص77 المجلس18 ح9.

[8] قال الناشئ الصغير:

علي الدر والذهب المصفى***وباقي الناس كلهم تراب

إذا لم تبر من أعدا علي***فما لك في محبته ثواب

إذا نادت صوارمه نفوساً***فليس لها سوا نعم جواب

فبين سنانه والدرع سلم***وبين البيض والبيض اصطحاب

هو البكاء في المحراب ليلاً***هو الضحاك إن جدَّ الضراب

ومن في خفه طرح الأعادي***حباباً كي يلبس الحباب

الغدير: ج4 ص26 القرن الرابع، الناشئ الصغير 271-365هـ.

[9] وتشهد له (عليه السلام) وقائع عدة من أبرزها وقعة الأحزاب ويوم الخندق وغزوة خيبر وغيرها كثير. أنظر في تفصيل ذلك بحار الأنوار: ج20 ص188 ب17 وب11 وب12 الخ.

[10] أمالي الشيخ الصدوق (رحمه الله): ص318 المجلس 52 ح4.

[11] نهج البلاغة، الخطبة: 5 من خطبة له (عليه السلام) لما قبض رسول الله.

الشيعة وحُب أمير المؤمنين (عليه السلام)

إنّ المنقّب في التاريخ تنكشف له حقيقة ناصعة لا يمكن إخفاؤها، وهي: أنّ التاريخ يذكر العظماء في صفحة من نور، ويسجّل لهم فيها الإجلال والإكبار كلاً على قدر عظمته. ومهما حاول شخص أن يتلاعب في التاريخ ويشوّه الحقائق ويحرّفها، فإنّ مصيره الفشل عاجلاً أم آجلاً؛ لأنّ الزيف والتحريف يظهر من تضارب أقوال المزيفين وتناقضها.

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان، الذي حاول أن يشوه الحقائق ويغسل أدمغة الناس، مما يعلمونه ويروونه في أمير المؤمنين (عليه السلام) من فضائل ومناقب كيف باءت بالفشل؟ حتى أنه جعل معاوية سبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سُنَّة أموية يشيب عليها الصغير ويهرم فيها الكبير، واستمرت محاولاته سنوات طويلة، وجنّد لهذه الفكرة الآلاف من عبيد الدنيا، وصرف أموالاً طائلة في سبيل ذلك، ولكن أين فكرته هذه الآن؟[1].

لقد بقى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ورغم أنوف أعدائه علماً من أعلام الدين وركناً من أركان الهدى والتقى، ليس عند شيعته فقط بل وحتى عند الآخرين، انه (عليه السلام) بقي على ما عرّفه الله ورسوله مفخرة للإسلام والإنسانية على مرّ العصور وكرّ الدهور.

أما إذا قرأنا في التاريخ عن معاوية فماذا نلاحظ؟ سوف نجد أنّ التاريخ دوّن عنه مواقف مخزية ضدّ الإسلام والإنسانية، وحتى محبوه يدركون ذلك في قرارة أنفسهم، ويعلمون بسيرته، ويظهرون موالاتهم له بسبب الطائفية والتعصب وربما كان ذلك جهلاً منهم.

أمّا شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وموالوه، فإنهم لا ينسون إمامهم في الليل والنهار، وهم كلما ذكروه افتخروا بمواقفه الإنسانية المشرفة، والتي مدحه القرآن الكريم بها.

إن الشيعة يحبون جميع أولياء الله ويقدرون مواقفهم، إلا أن حبّهم لأمير المؤمنين (عليه السلام) وولاءهم له يأتي بعد حبهم وولاءهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وذلك لأن حب أمير المؤمنين (عليه السلام) وولاءه هو نصر لكل الأمم وفخر لهم، والأفراد الذين يريدون أن يحصلوا على أعلى درجات الكمال الإنساني عليهم أن يتبعوه (عليه السلام) ويسيروا على نهجه؛ إذ في متابعته (عليه السلام) متابعة الحق، وفي هذا نذكر ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة»[2].

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي، من أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله»[3].

الهوامش:

[1] انظر نهج الحق: ص310 سب معاوية علياً (عليه السلام). وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج: «أعطى معاوية سمرة بن جندب من بيت المال أربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام بأن قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ)) (سورة البقرة: 204) إنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأن قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاةِ اللهِ)) (سورة البقرة: 207) نزلت في ابن ملجم أشقى مراد. أنظر شرح نهج البلاغة: ج4 ص73 فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذم علي (عليه السلام)، وأنظر الغدير: ج11 ص30.

وانظر أيضاً: ج2 ص101، وفيه قال الأميني: فهو ـ معاوية ـ مبتدع هذه الخزايات العايدة عليه وعلى لفيفه في عهد ملوكيته المظلم، وعلى هذا كان دينه وديدنه، ثم تمرنت رواة السوء من بعده على رواية الموضوعات وشاعت وكثرت إلى أن ألقت العلماء وحفظة الحديث في جهود متعبة بالتأليف في تمييز الموضوع من غيره، والخبيث من الطيب. لم يزل معاوية دائبا على ذلك متهالكا فيه حتى كبر عليه الصغير، وشاخ الكهل وهرم الكبير، فتداخل بغض أهل البيت (عليهم السلام) في قلوب ران عليها ذلك التمويه، فتسنى له لعن أمير المؤمنين (عليه السلام) وسبه في أعقاب الصلوات في الجمعة والجماعات وعلى صهوات المنابر في شرق الأرض وغربها، حتى في مهبط وحي الله (المدينة المنورة)، قال الحموي في معجم البلدان: ج5 ص 38: لعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على منابر الشرق والغرب، ولم يلعن على منبر سجستان إلا مرة وامتنعوا على بني أمية حتى زادوا في عهدهم: وأن لا يلعن على منبرهم أحد. وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله) على منبرهم وهو يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة.

ـ وقال الأميني (رحمه الله) ـ:

لما مات الحسن بن علي (عليهما السلام) حج معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليا على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل له: إن ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر وكتب إلى عماله: أن يلعنوه على المنابر. ففعلوا فكتبت أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم؛ وذلك إنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها.

وقال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: إن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك، وصد عن سبيلك، فالعنه لعنا وبيلا، وعذبه عذابا أليما. وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز، أنظر: ج4 ص57 وإن قوما من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين؟ إنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلا. ذكره ابن أبي الحديد في شرحه: ج4 ص57.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار على ما يعلق بالخاطر، والحافظ السيوطي: إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنه لهم معاوية من ذلك. وفي ذلك يقول العلامة الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي إنه***قد كان فيما جعلوه سنه

سبعون ألف منبر وعشره***من فوقهن يلعنون حيدره

وهذه في جنبها العظائم***تصغر بل توجه اللوائم

فهل ترى من سنها يعادى؟ ***أم لا وهل يستر أو يهادى؟

أو عالم يقول: عنه نسكت***أجب فإني للجواب منصت

وليت شعري هل يقال: اجتهدا***كقولهم في بغيه أم ألحدا

أليس ذا يؤذيه أم لا؟ فاسمعن***إن الذي يؤذيه من ومن ومن

بل جاء في حديث أم سلمة***هل فيكم الله يسب مه لمه؟

عاون أخا العرفان بالجواب***وعاد من عادى أبا تراب

أنظر الغدير: ج5 ص102.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يخبر بذلك كله ويقول: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني... ». أنظر وسائل الشيعة: ج16 ص229 ب29 ح21431.

وقال الأميني (رحمه الله) أيضاً: ونحن لو بسطنا القول في المقام لخرج الكتاب عن وضعه إذ صحايف تاريخ معاوية السوداء ومن لف لفه من بني أمية إنما تعد بالآلاف لا بالعشرات والمئات أنظر: ج2 ص103.

وقال الشيخ الأميني في ج2 ص 298:

ومن نماذج شعر الشاعر ابو محمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي قال:

وقد روى عكرمة في خبر***ما شك فيه أحد ولا امترى

مر ابن عباس على قوم وقد***سبوا عليا فاستراع وبكا

وقال مغتاظا لهم: أيكم***سب إله الخلق جل وعلا؟!

قالوا: معاذ الله قال: أيكم***سب رسول الله ظلما واجترا؟!

قالوا: معاذ الله قال: أيكم***سب عليا خير من وطئ الحصا؟!

قالوا: نعم قد كان ذا فقال: قد***سمعت والله النبي المجتبا

يقول: من سب عليا سبني***وسبني سب الإله واكتفا

محمد وصنوه وابنته***وابنيه خير من تحفى واحتذا

صلى عليهم ربنا باري الورى***ومنشئ الخلق على وجه الثرى

صفاهم الله تعالى وارتضى***واختارهم من الأنام واجتبى

لولاهم الله ما رفع السما***ولا دحى الأرض ولا أنشا الورى

لا يقبل الله لعبد عملا***حتى يواليهم بإخلاص الولا

ولا يتم لامرء صلاته***إلا بذكراهم ولا يزكوا الدعا

لو لم يكونوا خير من وطئ الحصا***ما قال جبريل بهم تحت العبا

هل أنا منكم؟! شرفا ثم علا***يفاخر الأملاك إذ قالوا: بلى

لو أن عبدا لقي الله بأعمال***جميع الخلق برا وتقى

ولم يكن والى عليا حبطت***أعماله وكب في نار لظى

وإن جبريل الأمين قال لي***عن ملكيه الكاتبين مذ دنا

إنهما ما كتبوا قط على***الطهر علي زلة ولا خنا

[2] بحار الأنوار: ج38 ص29 ب57 ح1 ولمعرفة المزيد عن تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) راجع بحار الأنوار لأجزاء: 37،36،35، 42،41،40،39،3

[3] بحار الأنوار: ج38 ص29 ب57 ح2.

التاريخ يتحدث

إن الذاهب إلى بلاد الشام ومدينة دمشق تحديداً، يُلاحظ قبرين مثيرين للعبرة والعظة:

أحدهما: قبر لمعاوية[1] بن أبي سفيان وابن هند آكلة الأكباد الذي حكم بلاد الشام طويلاً الذي يقع في بقعة مملوءة بالمزابل وأنواع الحشرات، وفي نفس الوقت ترى أصحابه ومحبيه يخفون قبره لكي لا يصل إليه أحد.

ثانيهما: قبر السيدة رقية[2]، وهو قبر لطفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها الثلاث سنوات، وهي بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ويقع بالقرب من قبر معاوية، ولكنه في مقابل قبر معاوية، حيث إن الناس يذهبون لزيارتها ويتبركون بقبرها ويطلبون من الله قضاء حوائجهم ببركتها، كل هذا لأنّ هذه الطفلة وكذلك عمتها السيدة زينب (عليها السلام) التي يقع مرقدها في ريف دمشق منطقة راوية من الذرية الطاهرة الذين هم امتداد للحق الذي سار عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام) وهم جميعاً سادة أهل الدنيا والآخرة.

كما أنّ تعامل الناس مع السادة من ذرية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يُعبّر عن احترام وقدسية خاصة، واتباع لوصايا الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) في أهل بيته (عليهم السلام) وذريته.

التأييد الغيبي لأهل الحق

إنّ صاحب البصيرة النافذة إذا أعطيت له حرية الاختيار بين الحق والباطل، ورفعت عنه جميع العقبات والحواجز، فإنه ـ وبلا شك ـ سوف يختار طريق الحق؛ لأنّ اتباع الحق يؤدي به إلى السعادة في الدنيا، والى الجنة والنعيم الدائم في الآخرة.

وطبيعة الإنسان العاقل أن يختار طريق الأمان والسلام، الذي هو طريق الحق، على طريق الهلكة والهوان، الذي هو طريق الباطل.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ الله عزوجل يحفظ الإنسان الذي يتبع الحق والحقيقة من النسيان والضمور، ويجعله في مأمن منها رغم تعاقب الأجيال، وتقلّبات الأيام، ويخلّد ذكره ليبقى قدوة للخير والفضيلة، والأمثلة على ذلك كثيرة. فهذا نبينا العظيم (صلى الله عليه وآله) ووصيه الكريم إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذلك الأنبياء والمرسلون وأوصياؤهم الكرام (عليهم السلام) من قبل ومن سار على نهجهم، تراهم جميعاً خالدين، فنبي الله نوح (عليه السلام) الذي مضى على نبوته آلاف السنين ـ حتى سمي شيخ المرسلين ـ بل آلاف القرون لقوله تعالى: ((قُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً))[3] قد ذكره الله في القرآن في مواطن عدّة، منها قوله تعالى: ((إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْباطِ وعِيسى وأَيُّوبَ ويُونُسَ وهارُونَ وسُلَيْمانَ وآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً))[4].

وقال عزوجل: ((واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وتَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ولا تُنْظِرُونِ))[5].

وقال تعالى: ((قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ))[6].

وقال عزوجل: ((وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ ومِنْكَ ومِنْ نُوحٍ وإِبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً))[7].

وقال تبارك وتعالى: ((سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ))[8].

نعم، لقد حصل شيخ المرسلين نوح (عليه السلام) على هذا الذكر الطيّب والخالد لأنه (عليه السلام) كان يعمل في طريق الحق ومن أجل إعلاء كلمة الحق خالصاً مخلصاً.

فعلى الإنسان أن ينقطع إلى الله دائماً، وأن لا يأمل إلاّ الله أبداً، وأن يعتمد على نصرته تعالى في أداء واجبه وتكليفه، وأن يطلب العون منه (عزوجل) لا من المخلوقين، فقد روي عن الحسين بن علوان قال: كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار، فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً، فقال: إذاً والله، لا تسعف حاجتك، ولا يبلغك أملك، ولا تنجح طلبتك، قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إن أبا عبد الله (عليه السلام) حدثني أنه قرأ في بعض الكتب: «أن الله تبارك وتعالى يقول:

وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي، لأقطعنّ أمل كل مؤمل (من الناس) غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينّه من قربي، ولأبعدنه من فضلي. أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي! ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقةٌ وبابي مفتوحٌ لمن دعاني، فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها، ومن ذا الذي رجاني لعظيمةٍ فقطعت رجاءه مني. جعلت آمال عبادي عندي محفوظةً فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم (أن) من طرقته نائبةٌ من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحدٌ غيري إلا من بعد إذني، فما لي أراه لاهياً عني! أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده وسأل غيري، أ فيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلي! أبخيلٌ أنا فيبخلني عبدي؟ أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري؟ فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً، ثم أعطيت كل واحدٍ منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة، وكيف ينقص ملكٌ أنا قيمه؟! فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني»[9].

نعم، إذا اعتمد الإنسان على الله وتوكل عليه فإنه يوصله إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)) [10].

وقال تعالى: ((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ))[11].

الهوامش:

[1] الذي يقع في زقاق ضيق في منطقة القيمرية في دمشق القديمة.

[2] قبر السيدة رقية بنت الحسين (عليها السلام) التي توفيت (عليها السلام) على رأس أبيها (صلوات الله عليه) حين طلبت رؤيته (عليه السلام) فأتوا لها بالرأس الشريف، ويقع قبرها الشريف في محلة العمارة وهو مزار مهيب ذو بناء واسع وعظيم وعامر دائماً بمحبي أهل البيت (عليهم السلام) وحتى من المخالفين أصحاب الحوائج.

[3] سورة الفرقان: 38.

[4] سورة النساء: 163.

[5] سورة يونس: 71.

[6] سورة هود: 48.

[7] سورة الاحزاب: 7

[8] سورة الصافات: 79.

[9] الكافي: ج2 ص66 باب التفويض بالله والتوكل عليه ح7.

[10] سورة الطلاق: 2،3.

[11] سورة آل عمران: 172 - 174.

أمير المؤمنين (عليه السلام) على لسان الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله)

إن الفضائل والمناقب التي ذكرها خير خلق الله الرسول الحبيب (صلى الله عليه وآله) في حق وصيه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرة ومتعددة، نذكر منها الروايات التالية:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الأرض، وفي السماء الدنيا كالقمر بالليل في الأرض، أعطى الله علياً من الفضل جزءاً لو قُسِّم على أهل الأرض لوسعهم، وأعطاه الله من الفهم لو قسم على أهل الأرض لوسعهم، شُبّهت لينه بلين لوط، وخلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيّوب، وسخاؤه بسخاء ابراهيم وبهجته ببهجة سليمان بن داود، وقوّته بقوّة داود. وله اسم مكتوب على كلّ حجاب في الجنّة، بشّرني به ربي وكانت له البشارة عندي، عليٌّ محمود عند الحقّ، مزكّى عند الملائكة، وخاصتي وخالصتي، وظاهرتي ومصباحي، وجُنَّتي ورفيقي، آنسني به ربي فسألت ربّي أن لا يقبضه قبلي، وسألته أن يقبضه شهيداً. أُدخلت الجنة فرأيت حور علي أكثر من ورق الشجر، وقصور علي كعدد البشر. عليّ مني وأنا من علي، من تولى علياً فقد تولاّني، حبّ علي نعمة واتباعه فضيلة، دانت به الملائكة وحفت به الجنّ الصالحون، لم يمش على الأرض ماشٍ بعدي إلاّ كان هو أكرم منه عزّاً وفخراً ومنهاجاً، لم يك فظّاً عجولاً، ولا مسترسلاً لفساد ولا متعنّداً، حملته الأرض فأكرمته، لم يخرج من بطن أنثى بعدي أحد كان أكرم خروجاً منه، ولم ينزل منزلاً إلاّ كان ميموناً، أنزل الله عليه الحكمة، وردّاه بالفهم، تجالسه الملائكة ولا يراها. ولو أوحي إلى أحد بعدي لأوحي إليه، فزيّن الله به المحافل، وأكرم به العساكر، وأخصب به البلاد، وأعزّ به الأجناد. مثله كمثل بيت الله الحرام يزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر إذا طلع أضاء الظلمة، ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أنارت الدنيا، وصفه الله في كتابه، ومدحه بآياته، ووصف فيه آثاره، وأجرى منازله، فهو الكريم حيّاً والشهيد ميتاً»[1].

وعن عبد الرحمان بن سمرة قال: قلت: يا رسول الله، أرشدني إلى النجاة، فقال (صلى الله عليه وآله): «يا ابن سمرة، إذا اختلفت الاهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب؛ فإنه إمام أمتي، وخليفتي عليهم من بعدي، وهو الفاروق الذي يميز بين الحق والباطل، من سأله أجابه، ومن استرشده أرشده، ومن طلب الحق من عنده وجده، ومن التمس الهدى لديه صادفه، ومن لجأ إليه آمنه، ومن استمسك به نجاه، ومن اقتدى به هداه.

يا ابن سمرة، سلم من سلم له ووالاه، وهلك من رد عليه وعاداه.

يا ابن سمرة، إن عليا مني، روحه من روحي، وطينته من طينتي، وهو أخي وأنا أخوه، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين، وإن منه إمامَي أمتي، وسيدَي شباب أهل الجنة: الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين، تاسعهم قائم أمتي، يملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا»[2].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أنه جاء إليه رجل فقال له: يا أبا الحسن، إنك تدّعى أمير المؤمنين، فمن أمرك عليهم؟

قال: الله عزوجل أمرني عليهم.

فجاء الرجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، أ يصدق علي فيما يقول إن الله أمّره على خلقه؟

فغضب النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال: إن عليا أمير المؤمنين بولاية من الله عزوجل، عقدها له فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته، إن عليا خليفة الله، وحجة الله، وإنه لإمام المسلمين، طاعته مقرونة بطاعة الله، ومعصيته مقرونة بمعصية الله، فمن جهله فقد جهلني، ومن عرفه فقد عرفني، ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوتي، ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي، ومن دفع فضله فقد تنقصني، ومن قاتله فقد قاتلني، ومن سبه فقد سبني؛ لأنه مني خلق من طينتي، وهو زوج فاطمة ابنتي، وأبو ولدي

الحسن والحسين ـ ثم قال (صلى الله عليه وآله): ـ أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأولياؤنا أولياء الله»[3].

نعم، هذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) على لسان خير خلق الله تعالى الرسول الحبيب (صلى الله عليه وآله) الذي ((ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى))[4] كما قال الله عنه ذلك.

ولهذا يعتبر يوم الغدير هو اليوم الذي تمت به النعمة واكتمل به الدين، فهو يوم عظيم ذو أهمية خاصة وقدسية كبيرة عند المسلمين وخصوصاً الشيعة منهم، وذلك هو بمثابة إعلاناً رسمياً في تعيين الإمام علي (عليه السلام) في هذا اليوم أميراً للمؤمنين من قبل الله تعالى.

الهوامش:

[1] بحار الأنوار: ج39 ص37 ب73 ح7.

[2] بحار الأنوار: ج36 ص226 ب41 ح2.

[3] بحار الأنوار: ج36 ص227 ب41 ح5.

[4] سورة النجم: 3-4.

أهل البيت (عليهم السلام) وعيد الغدير

كان الأئمة من أهل بيت رسول الله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) يوصون شيعتهم بالاحتفال بهذا العيد العظيم واظهاره باجلى المظاهر، فهم (عليهم السلام) كانوا يجعلونه يوما فريدا ومشهودا بين اهليهم وذويهم، فقد روي عن أحوالهم (عليهم السلام) من قال: أنه شهد أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في يوم الغدير وبحضرته جماعة من خاصته، قد احتبسهم للإفطار وقد قدم إلى منازلهم الطعام والبر والصلات والكسوة حتى الخواتيم والنعال، وقد غير أحوالهم وأحوال حاشيته، وجددت له الآلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وقدمه.

فكان من قوله (عليه السلام): «حدثني الهادي أبي قال: حدثني جدي الصادق قال: حدثني الباقر قال: حدثني سيد العابدين قال: حدثني أبي الحسين قال: اتفق في بعض سني أمير المؤمنين (عليه السلام) الجمعة والغدير، فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم، فحمد الله حمدا لا نسمع (لم يسمع) بمثله، وأثنى عليه بما لا يتوجه إلى غيره، فكان ما[1] حفظ من ذلك:

الحمد لله الذي جعل الحمد من غير حاجة منه إلى حامديه، طريقا من طرق الاعتراف بلاهوتيته وصمدانيته وفردانيته[2]، وسببا إلى المزيد من رحمته، ومحجة للطالب من فضله، وكمن في إبطان[3] حقيقة الاعتراف له: بأنه المنعم على كل حمد باللفظ وإن عظم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نزعت عن إخلاص الطوى[4]، ونطق اللسان بها عبارة عن صدق خفي أنه الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى، ليس كمثله شيء، إذ كان (إذا كان) الشيء من مشيته، وكان لا يشبهه مكونه.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه بأنه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمرا وناهيا عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار. لا إله إلا هو الملك الجبار، قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوتيته، واختصه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريته، فهو أهل ذلك بخاصته وخلته، إذ لا يختص من يشوبه التغيير ولا يخالل من يلحقه التظنين. وأمر بالصلاة عليه مزيدا في تكرمته، وطريقا للداعي إلى إجابته، فصلى الله عليه وكرم وشرف وعظم مزيدا لا تلحقه التفنية، ولا ينقطع على التأبيد.

وأن الله تعالى اختص لنفسه بعد نبيه (صلى الله عليه وآله) بريته خاصة، علاهم بتعليته، وسمى (سار) بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاة بالحق إليه، والأداء بالإرشاد عليه، لقرن قرن، وزمن زمن، أنشأهم في القدم على (قبل) كل مذرو ومبرو، أنوارا أنطقها بتحميده، وألهمها على شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كل معترف له بملكوت الربوبية، وسلطان العبودية، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات، بخوعا له بأنه فاطر الأرضين والسماوات، واستشهدهم خلقه، وولاهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجم مشيته، وألسن إرادته، عبيدا لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون، يحكمون بأحكامه، ويستنون بسنته، ويعتمدون حدوده، ويؤدون فرضه.

ولم يدع الخلق في بهم صما، ولا في عمى بكما، بل جعل لهم عقولا مازجت شواهدهم، وتفرقت في هياكلهم، حققها في نفوسهم، واستعد لها حواسهم. فقرر بها على أسماع ونواظر، وأفكار وخواطر، ألزمهم بها حجته، وأراهم بها محجته، وأنطقهم عما شهدته بألسن ذربة، بما قام فيها من قدرته وحكمته، وبين[5] عندهم بها، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم بصير، شاهد خبير.

وإن الله تعالى جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين، لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه؛ ليكمل لكم عندكم جميل صنعه، ويقفكم على طريق رشده، ويقفوا بكم آثار المستضيئين بنور هدايته، ويسلك بكم منهاج قصده، ويوفر عليكم

هنيء رفده، فجعل الجمعة مجمعا ندب إليه لتطهير ما كان قبله، وغسل ما أوقعته مكاسب السوء من مثله إلى مثله، وذكرى للمؤمنين وتبيان خشية المتقين، ووهب لأهل طاعته في الأيام قبله، وجعله لا يتم إلا بالايتمار لما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، والبخوع بطاعته فيما حث عليه وندب إليه.

ولا يقبل توحيده إلا بالاعتراف لنبيه (صلى الله عليه وآله) بنبوته، ولا يقبل دينا إلا بولاية من أمر بولايته، ولا ينتظم أسباب طاعته إلا بالتمسك بعصمه وعصم أهل ولايته. فأنزل على نبيه (صلى الله عليه وآله) في يوم الدوح ما بيّن فيه عن إرادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ، وترك الحفل بأهل الزيغ والنفاق، وضمن له عصمته منهم، وكشف عن (من) خبايا أهل الريب وضمائر أهل الارتداد ما رمز فيه، فعقله المؤمن والمنافق، فأعن معن[6]، وثبت على الحق ثابت، وازدادت جهالة المنافق، وحمية المارق، ووقع العض على النواجذ، والغمز على السواعد، ونطق ناطق ونعق ناعق ونشق[7] ناشق، واستمر على مارقته مارق. ووقع الإذعان من طائفة باللسان دون حقائق الإيمان، ومن طائفة باللسان وصدق الإيمان، وأكمل الله دينه، وأقر عين نبيه، والمؤمنين والمتابعين.

وكان ما قد شهده بعضكم وبلغ بعضكم، وتمت كلمة الله الحسنى على الصابرين، ودمر الله ما صنع فرعون وهامان وقارون وجنوده وما كانوا يعرشون.

وتفتت (بقيت) حثالة من الضلال لا يألون الناس خبالا، فيقصدهم الله في ديارهم، ويمحو آثارهم، ويبيد معالمهم، ويعقبهم عن قرب الحسرات، ويلحفهم عن بسط أكفهم، ومد أعناقهم، ومكنهم من دين الله حتى بدّلوه، ومن حكمه حتى غيروه، وسيأتي نصر الله على عدوه لحينه، والله لطيف خبير.

وفي دون ما سمعتم كفاية وبلاغ، فتأملوا رحمكم الله ما ندبكم الله إليه وحثكم عليه، واقصدوا شرعه، واسلكوا نهجه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.

هذا يوم عظيم الشأن، فيه وقع الفرج، ورفعت الدرج، وضحت الحجج، وهو يوم الإيضاح والإفصاح عن المقام الصراح، ويوم كمال الدين، ويوم العهد المعهود، ويوم الشاهد والمشهود، ويوم تبيان العقود عن النفاق والجحود، ويوم البيان عن حقائق الإيمان، ويوم دحر الشيطان، ويوم البرهان.

هذا يوم الفصل الذي كنتم به توعدون، هذا يوم الملإ الأعلى الذي أنتم عنه معرضون، هذا يوم الإرشاد ويوم محنة على العباد، ويوم الدليل على الرواد، هذا يوم إبداء خفايا الصدور، ومضمرات الأمور، هذا يوم النصوص على أهل الخصوص.

هذا يوم شيث، هذا يوم إدريس، هذا يوم يوشع، هذا يوم شمعون. هذا يوم الأمن المأمون، هذا يوم إظهار المصون من المكنون، هذا يوم إبلاء السرائر.

فلم يزل (عليه السلام) يقول هذا يوم هذا يوم، فراقبوا الله واتقوه، واسمعوا له وأطيعوه، واحذروا المكر ولا تخادعوه، فتّشوا ضمائركم ولا توارىوه، وتقربوا إلى الله بتوحيده وطاعة من أمركم أن تطيعوه، ولا تمسكوا بعصم الكوافر، ولا يجنح بكم الغي فتظلوا عن سبيل الرشاد باتباع أولئك الذين ضلوا وأضلوا، قال الله تعالى عز من قائل، في طائفة ذكرهم بالذم في كتابه: ((إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ، رَبَّنَا إِتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً))[8].

وقال الله تعالى: ((وإِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النَّار فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً))[9].

وقال سبحانه: ((فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذاب اللَّهِ مِنْ شَيءٍ قالُوا لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيْناكُم))[10].

أفتدرون استكبار ما هو ترك الطاعة لمن أمر الله بطاعته والترفع عمن ندبوا إلى متابعته؟ والقرآن ينطق من هذا عن كثير إن تدبره متدبر زجره ووعظه، واعلموا أيها المؤمنون إن الله عز وجل قال: ((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ

بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ))[11].

أتدرون ما سبيل الله؟ ومن سبيله؟ ومن صراط الله؟ ومن طريقه؟

أنا صراط الله الذي من لم (لا) يسلكه بطاعة الله فيه هوى به إلى النار، أنا سبيله الذي نصبني للاتباع بعد نبيه (صلى الله عليه وآله)، أنا قسيم النار، أنا حجة الله على الفجار، أنا نور الأنوار.

فانتبهوا من رقدة الغفلة، وبادروا بالعمل قبل حلول الأجل، وسابقوا إلى مغفرة من ربكم قبل أن يضرب بالسور بباطن الرحمة وظاهر العذاب، فتنادون فلا يسمع نداؤكم، وتضجون فلا يحفل بضجيجكم، وقبل أن تستغيثوا فلا تغاثوا.

سارعوا إلى الطاعات قبل فوات الأوقات، فكان قد جاء هادم اللذات، فلا مناص نجاة ولا محيص تخليص.

عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم، والبر بإخوانكم، والشكر لله عز وجل على ما منحكم، وأجمعوا يجمع الله شملكم، وتباروا يصل الله ألفتكم، وتهانوا نعمة الله كما هنأكم، بالصواب فيه على أضعاف الأعياد قبله وبعده إلا في مثله، والبر فيه يثمر المال، ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه، وهبوا لإخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من جودكم، وبما تناله القدرة من استطاعتكم، وأظهروا البشرى فيما بينكم، والسرور في ملاقاتكم، والحمد لله (واحمدوا الله) على ما منحكم، وعودوا بالمزيد على أهل التأميل لكم، وساووا بكم ضعفاءكم ومن ملككم، وما تناله القدرة من استطاعتكم، وعلى حسب إمكانكم، فالدرهم فيه بمائتي ألف درهم، والمزيد من الله عز وجل.

وصوم هذا اليوم مما ندب الله إليه، وجعل العظيم كفالة عنه، حتى لو تعبد له عبد من العبيد في التشبيه من ابتداء الدنيا إلى تقضيها صائما نهارها قائما ليلها، إذ أخلص المخلص في صومه، لقصرت أيام الدنيا من (عن) كفاية (كفايته)، ومن أضعف فيه أخاه مبتدئا وبره راغبا، فله كأجر من صام هذا اليوم وقام ليله، ومن فطر مؤمنا في ليلته، فكأنما فطر فئاما وفئاما، ـ يعدها بيده عشرة ـ.

فنهض ناهض فقال: يا أمير المؤمنين، وما الفئام؟

قال: مأتي ألف نبي وصديق وشهيد، فكيف بمن يكفل عددا من المؤمنين والمؤمنات، فأنا ضمينه على الله تعالى الأمان من الكفر والفقر، وإن مات في ليلته أو يومه أو بعده إلى مثله من غير ارتكاب كبيرة فأجره على الله، ومن استدان لإخوانه وأعانهم فأنا الضامن على الله إن أبقاه، وإن قبضه حمله عنه.

وإذا تلاقيتم فتصافحوا بألسنتكم وتهانوا بالنعمة في هذا اليوم، وليبلغ الحاضر الغائب، والشاهد البائن، وليعد الغني على الفقير، والقوي على الضعيف.

أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك.

ثم أخذ (صلوات الله عليه) في خطبته الجمعة، وجعل صلاته جمعة صلاة عيد. وانصرف بولده وشيعته إلى منزل أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) بما أعد له من طعامه، وانصرف غنيهم وفقيرهم برفده إلى عياله»[12].

نعم، فأمير المؤمنين (عليه السلام) الذي تشرفت الدنيا به يوم ولد في جوف الكعبة[13]، ويوم عاش في هذه الحياة، ومن خلال حياته الزاخرة بالجهاد والتضحية في سبيل الله، سطّر للعالم النموذج الفريد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المكارم، والقدوة الحسنة في جميع الأعمال الحميدة، قد بكته السماء والأرض يوم وفاته (عليه السلام)، فمات شهيداً في سبيل الله تعالى، وختم حياته بأحسن ما يختم به الإنسان حياته.

فقد روي عن أبي حمزة الثمالي عن حبيب بن عمرو قال: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) في مرضه الذي قبض فيه فحل عن جراحته، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما جرحك هذا بشيء، وما بك من بأس! فقال لي: « يا حبيب، أنا والله مفارقكم

الساعة».

قال: فبكيت عند ذلك، وبكت أم كلثوم وكانت قاعدة عنده، فقال لها: «ما يبكيك يا بنية؟ ».

فقالت: «ذكرت يا أبة أنك تفارقنا الساعة فبكيت».

فقال لها: «يا بنية لا تبكين، فو الله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت». قال حبيب: فقلت له: و ما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟

فقال: «يا حبيب، أرى ملائكة السماء والنبيين (والأرضين) بعضهم في أثر بعض وقوفا إلى أن يتلقوني، وهذا أخي محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس عندي، يقول: أقدم، فإن أمامك خير لك مما أنت فيه».

قال: فما خرجت من عنده حتى توفي (عليه السلام).

فلما كان من الغد وأصبح الحسن (عليه السلام) قام خطيبا على المنبر، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى ابن مريم (عليه السلام)، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين (عليه السلام)، والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنة، ولا من يكون بعده، وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليبعثه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشتري بها خادما لأهله»[14].

الهوامش:

[1] في بحار الأنوار وردت «مما»، أنظر: ج94 ص112 ب60 ح8.

[2] في بحار الأنوار ورد «وصمدانيته وربانيته وفردانيته»، أنظر: ج94 ص112 ب60 ح8.

[3] في بحار الأنوار وردت «كمن في إبطال اللفظ حقيقة»، أنظر: ج94 ص113 ب60 ح8.

[4] في بحار الأنوار وردت «المطوي»، أنظر: ج94 ص113 ب60 ح8.

[5] في بحار الأنوار وردت «وبين بها عندهم بها»، أنظر: ج94 ص114 ب60 ح8.

[6] أمعن الرجل: هرب وتباعد، أنظر لسان العرب: ج13 ص409 مادة «معن».

[7] نشق: النشق صب سعوط في الأنف، أنظر لسان العرب: ج10 ص353 مادة «نشق».

[8] سورة الاحزاب: 67- 68.

[9] سورة غافر: 47.

[10] سورة إبراهيم: 21.

[11] سورة الصف: 4.

[12] إقبال الأعمال: ص461 فصل فيما نذكره من فضل عيد الغدير عند اهل العقول من طريق المنقول.

[13] فقد روي عن يزيد بن قعنب أنه قال: كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: «رب إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني، لما يسرت علي ولادتي».

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح

لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عزوجل، ثم خرجت بعد الرابع، وبيدها أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم قالت: «إني فضلت على من تقدمني من النساء؛ لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرا في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا، وأن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبا جنيا، وأني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سميه عليا فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه» أنظر أمالي الشيخ الصدوق: ص132 المجلس 27 ح9.

[14] أمالي الشيخ الصدوق: ص318 المجلس 52 ح4.

من هدي القرآن الحكيم

ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[1].

وقال عزوجل: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً))[2].

وقال سبحانه: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ))[3].

صفات الإمام (عليه السلام):

قال سبحانه: ((أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَ أَنْ يُهْدَى))[4].

وقال تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))[5].

وقال جل وعلا: ((وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ))[6].

وقال جل وعلا: ((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ))[7].

ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في القرآن

قال عزوجل: ((عَمَّ يَتَسَاءلُونَ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ))[8].

وقال سبحانه: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاةِ اللهِ))[9].

وقال جل وعلا: ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى))[10].

وقال عزوجل: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ))[11].

متابعة أئمة الحق:

وقال تعالى: ((أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ))[12].

قال سبحانه: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[13].

الهوامش:

[1] سورة المائدة: 67.

[2] سورة المائدة: 3.

[3] سورة المائدة: 55.

[4] سورة يونس: 35.

[5] سورة البقرة: 124.

[6] سورة الأنبياء: 73.

[7] سورة التوبة: 19.

[8] سورة النبأ: 1 - 3.

[9] سورة البقرة: 207.

[10] سورة الشورى: 23.

[11] سورة البينة: 7.

[12] سورة النساء: 59.

[13] سورة الأنعام: 153.

لمعرفة المزيد من الآيات الواردة في حق أمير المؤمنين (عليه السلام) راجع كتاب (علي (عليه السلام) في القرآن) لآية الله العظمى الفقيه المحقق السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) هذا الكتاب الذي طبع لأول مرة عام (1399هـ - 1979م) وطبعته الثانية عام (1409هـ - 1989م) والطبعة الثالثة عام (1421هـ - 2001م)، وقال سماحته (دام ظله) في مقدمة الكتاب: هذه مجموعة من الآيات القرآنية في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) تنزيلاً، أو تأويلاً، أو مصداقاً أكمل وفرداً أتم، أو تنظيراً، جمعتها من كتب العامة سواء ما نقلتها منها مباشرة، أو بواسطة كتاب آخر قد نقل عنها مما ذكرته في محله وأشرت إليه. والكتاب مجلد يقع في جزأين نشر دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع.

من هدي السنة المطهّرة

يوم الغدير:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأمتي، يهتدون به من بعدي وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم على أمتي فيه النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً ـ ثم قال (صلى الله عليه وآله) ـ معاشر الناس، إن عليا مني و أنا من علي خلق من طينتي وهو إمام الخلق بعدي، يبين لهم ما اختلفوا فيه من سنتي، وهو أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ويعسوب المؤمنين وخير الوصيين وزوج سيدة نساء العالمين وأبو الأئمة المهديين.

معاشر الناس، من أحب عليا أحببته ومن أبغض عليا أبغضته، و من وصل عليا وصلته ومن قطع عليا قطعته، ومن جفا عليا جفوته ومن والى عليا واليته، ومن عادى عليا عاديته.

معاشر الناس، أنا مدينة الحكمة وعلي بن أبي طالب بابها ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض عليا.

معاشر الناس، والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية، ما نصبت عليا علما لأمتي في الأرض حتى نوه الله باسمه في سماواته وأوجب ولايته على ملائكته»[1].

وقال (صلى الله عليه وآله) ـ في حديث ـ: «فأتاني جبرئيل فقال: إن ربك يقول لك: إن علي بن أبي طالب وصيك وخليفتك على أهلك وأمتك والذائد عن حوضك وهو صاحب لوائك يقدمك إلى الجنة.. »[2].

صفات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

عن أبي إسحاق عن أبيه قال: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) نحوه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أراد أن ينظر إلى آدم في خلقه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»[3].

وقال (صلى الله عليه وآله): «أقضى أمتي وأعلم أمتي بعدي علي»[4].

وقال (صلى الله عليه وآله): «أوحي إليّ في عليّ ثلاث: أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»[5].

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا قسيم الله بين الجنة والنار لا يدخلها داخل إلا على حد قسمي وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن بعدي والمؤدي عمّن كان قبلي، لا يتقدمني أحد إلا أحمد (صلى الله عليه وآله)، وإني وإياه لعلى سبيل واحد، إلا أنه هو المدعو باسمه، ولقد أعطيت الست: علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب وإني لصاحب الكرات ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس»[6].

النبأ العظيم

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي، أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى.

يا علي، أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين. يا علي، أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر. يا علي، أنت خليفتي على أمتي وأنت قاضي ديني وأنت منجز عداتي. يا علي، أنت المظلوم بعدي. يا علي، أنت المفارق

بعدي، يا علي، أنت المحجور بعدي. أشهد الله تعالى ومن حضر من أمتي، إن حزبك حزبي وحزبي حزب الله، وإن حزب أعدائك حزب الشيطان»[7].

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): «أول من شرى نفسه لله علي بن أبي طالب (عليه السلام)... »[8].

دخل أبان على الإمام الرضا (عليه السلام) فقال: سألته عن قول الله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ))[9]؟ فقال: «ذلك علي بن أبي طالب (عليه السلام).. »[10].

وعن ابن عباس قال: لما نزلت ((قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى))[11] قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين يأمرنا الله بمودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وأولادهما»[12].

من كلام للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في التمسك بالأئمة ومتابعة أثرهم (عليهم السلام): «من أطاع إمامه فقد أطاع ربّه»[13].

وقال (عليه السلام) أيضاً: «لا تزلوا عن الحق وأهله، فإنّه من استبدل بنا أهل البيت هلك وفاتته الدنيا والآخرة»[14].

وقال (عليه السلام): «عليكم بطاعة أئمتكم، فإنّهم الشهداء عليكم اليوم، والشفعاء لكم عند الله غداً»[15].

وقال (عليه السلام): «شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة»[16].

وقال (عليه السلام): «أسعد الناس من عرف فضلنا وتقرب إلى الله بنا وأخلص حبنا وعمل بما إليه ندبنا وانتهى عما عنه نهينا، فذاك منا وهو في دار المقامة معنا»[17].

الهوامش:

[1] بحار الأنوار: ج37 ص109 ب52 ح2.

[2] مستدرك الوسائل: ج18 ص181 ب8 ح22445.

[3] أمالي الشيخ المفيد (رحمه الله): ص14 المجلس 2 ح3.

[4] أمالي الشيخ الصدوق (رحمه الله): ص548 المجلس81 ح20.

[5] بحار الأنوار: ج40 ص23 ب91 ح42.

[6] الكافي: ج1 ص197 باب أن الأئمة (عليهم السلام) هم أركان الأرض ح3.

[7] عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج2 ص6 ب30 ح13.

[8] المناقب: ج2 ص64 فصل في المسابقة الى الهجرة.

[9] سورة النساء: 59.

[10] تفسير العياشي: ج1 ص251 من سورة النساء ح171.

[11] سورة الشورى: 23.

[12] بحار الأنوار: ج36 ص166 ب39 ح151.

[13] غرر الحكم ودرر الكلم: ص116 ب5 الفصل 1 ح2030.

[14] غرر الحكم ودرر الكلم: ص117 ب5 الفصل 1 ح2033.

[15] غرر الحكم ودرر الكلم: ص116 ب5 الفصل 1 ح2025.

[16] غرر الحكم ودرر الكلم ص116 ب5 الفصل 1 ح2023.

[17] غرر الحكم ودرر الكلم ص115 ب5 الفصل 1 ح1995.

الولاية والإمامة[1]

مهمة تبليغ الرسالة:

لما انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع والمسلمون معه وهم على بعض الروايات زهاء مائتي ألف نسمة، سار (صلى الله عليه وآله) نحو المدينة، حتى إذا كان اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وصل ـ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن معه من المسلمون ـ إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعّب فيها طرق المدنيين عن غيرهم، ولم يكن هذا المكان بموضع إذ ذاك يصلح للنزول، لعدم وجود الماء فيه والمرعى، فنزل عليه الأمين جبرئيل (عليه السلام) عن الله بقوله تعالى: ((يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))[2].

وكان نزوله هذا بهذا الشأن هو للمرة الثالثة، فقد نزل (عليه السلام) عليه (صلى الله عليه وآله) قبلها مرّتين ـ وذلك للتأكيد ـ: مرة عند وقوفه بالموقف، وأخرى عند كونه في مسجد الخيف، وفي كل منهما يأمره بأن يستخلف عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأن يسلّم إليه ما عنده من العلم وميراث علوم الأنبياء (عليهم السلام) وجميع ما لديه من آياتهم، وأن يقيمه علماً للناس، ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية، وفرض الطاعة على كل أحد، ويأخذ منهم البيعة له على ذلك، والسلام عليه بإمرة المؤمنين، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يسأل جبرئيل أن يأتيه من الله تعالى بالعصمة، وفي هذه المرة نزل عليه بهذه الآية الكريمة التي فيها: ((وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)).

وكان أوائل القوم، عند نزول جبرئيل بهذه الآية التي أمرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تبليغ ما أُنزل إليه في علي (عليه السلام)، قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتوقّف عن المسير وأن يردّ من تقدّم من القوم ويحبس من تأخّر منهم في ذلك المكان، فنزل (صلى الله عليه وآله) ونزل المسلمون حوله، وكان يوماً قايظاً شديد الحرّ، فأمر بدوحات هناك فقمّ ما تحتها وأمر بجمع الرحال فيه، ووضع بعضها فوق بعض.

ثم أمر (صلى الله عليه وآله) مناديه فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا إليه وإن الرجل منهم ليضع بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ، فلما اجتمعوا صعد (صلى الله عليه وآله) على تلك الرحال حتى صار في ذروتها، ودعا علياً (عليه السلام) فرقى معه حتى قام عن يمينه ثم خطب (صلى الله عليه وآله) الناس خطبة بليغة لم يسمع الناس بمثلها فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ فأبلغ الموعظة، ونعى إلى الأُمّة نفسه، وأشار إلى أمر الإستخلاف فنصب علياً (عليه السلام) بأمر من الله تعالى خليفة عليهم بعده (صلى الله عليه وآله)، ومما قال (صلى الله عليه وآله) فيها ما يلي:

«معاشر الناس، ان الله أوحى إليّ يقول: ((يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))[3].

وأنا مبيّن لكم سبب نزول هذه الآية: إنّ جبرئيل هبط عليّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن ربّي جلّ جلاله أن أقوم في هذا المشهد، فأُعلم كل أبيض وأسود، أنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي على أُمّتي، والإمام من بعدي، وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة من الناس وهو الله الكافي الكريم.

فاعلموا معاشر الناس، أن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر وعلى الأعجمي والعربي، والحر والمملوك، وعلى كل موحّد.

معاشر الناس، إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد، فاسمعوا وأطيعوا، وانقادوا لأمر ربّكم، فإنّ الله هو مولاكم وإلهكم، ثم من بعده رسوله محمّد وليّكم القائم المخاطب لكم، ثم من بعدي علي وليّكم وإمامكم بأمر ربّكم، ثم الإمامة في ذرّيتي من ولده إلى يوم تلقون الله ورسوله، لا حلال إلاّ ما أحلّه الله، ولا حرام إلاّ ما حرّمه الله، عرّفني الله الحلال والحرام وأنا أفضيت لما علّمني

ربّي من كتابه وحلاله وحرامه إليه ـ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ.

معاشر الناس، ما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيَّ، وكل علم علّمت فقد أحصيته في إمام المتّقين، وما من علم إلا عَلَّمته علياً والمتّقين من ولده.

معاشر الناس، لا تضلّوا عنه، ولا تنفروا منه، ولا تستنكفوا من ولايته؛ فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهق الباطل وينهى عنه، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

معاشر الناس، فضّلوه فقد فضّله الله، واقبلوه فقد نصبه الله.

معاشر الناس، إنّ علياً والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر، وكل واحد منبىء عن صاحبه، وموافق له، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، هم أُمناء الله في خلقه، وحكماؤه في أرضه. ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلّغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، ألا وإن الله عزّوجل قال، وأنا قلت عن الله عزّوجل: ألا إنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا، ولا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره».

ثم ضرب بيده على عضد علي فرفعه وقال:

«معاشر الناس، هذا أخي ووصيّي، وواعي علمي، وخليفتي على أمَّتي وعلى تفسير كتاب الله عزّوجل، والداعي إليه، والعامل بما يرضاه، والمحارب لأعدائه، والموالي على طاعته، والناهي عن معصيته، خليفة رسول الله، وأمير المؤمنين، والإمام الهادي، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله، أقول وما يبدّل القول لديّ بأمر ربّي أقول: اللهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من أنكره، واغضب على من جحد حقّه، اللهمّ إنك أنزلت عليّ: إن الإمامة بعدي لعليّ وليّك، اللهمّ إنّي أشهدك وكفى بك شهيداً اني قد بلّغت.

معاشر الناس، إنما أكمل الله عزّوجل دينكم بإمامته، هذا علي أنصركم لي، وأحقّكم بي، وأقربكم إليّ، وأعزّكم عليّ، والله عزّ وجل وأنا عنه راضيان، وما نزلت آية رضىً إلا فيه، وما خاطب الله الذين آمنوا إلاّ بدأ به، ولا نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، ولا شهد بالجنّة في ((هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسانِ))[4] إلاّ له، ولا أنزلها في سواه، ولا مدح بها غيره.

معاشر الناس، نبيّكم خير نبيّ، ووصيّكم خير وصيّ، وبنوه خير الأوصياء.

معاشر الناس، ذرّية كلّ نبيّ من صلبه، وذريّتي من صلب علي.

معاشر الناس، إنّ الله قد أمرني ونهاني، وقد أمرتُ علياً ونهيته، فعلم الأمر والنهي من ربّه عزّوجل، فاسمعوا لأمره تسلموا، وأطيعوا تهتدوا، وانتهوا لنهيه ترشدوا، وصيروا إلى مراده، ولا تتفرّق بكم السبل عن سبيله.

معاشر الناس، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه، ثم عليّ من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمّةً يهدون إلى الحقّ وبه يعدلون، ألا إنّ أعداء علي هم أهل الشقاق والنفاق، والحادّون، وهم العادون، وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

معاشر الناس، ألا وإنّي منذر، وعليّ هاد.

معاشر الناس، إنّي نبيّ، وعليّ وصيّ، ألا أنّ خاتم الأئمّة منّا القائم المهدي.

معاشر الناس، قد بيّنت لكم وأفهمتكم، وهذا علي يفهمكم بعدي، ألا واني عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي على بيعته، والإقرار به، ثم مصافقته بعدي، ألا واني قد بايعتُ الله، وعليّ قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّوجلّ ((فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ))[5].

معاشر الناس، وكلّ حلال دللتكم عليه، أو حرام نهيتكم عنه، فإني لم أرجع عن ذلك ولم أُبدّل، ألا فاذكروا ذلك واحفظوه،

وتواصوا به، ولا تبدلوه ولا تغيّروه. ألا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر. ألا وإنّ رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن تنتهوا إلى قولي وتبلّغوه من لم يحضر، وتأمروه بقبوله، وتنهوه عن مخالفته، فإنه أمر من الله عزّوجلّ ومنّي، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلاّ مع إمام معصوم.

معاشر الناس، فما تقولون؟ قولوا الّذي قلت، وسلّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: سمعنا وأطعنا، وقولوا: الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

معاشر الناس، إنّ فضائل عليّ عند الله عزّوجل الذي قد أنزلها في القرآن أكثر من أن أُحصيها في مكان واحد، فمن أنبأكم بها فصدِّقوه.

معاشر الناس، من يطع الله ورسوله وعلياً أمير ا

الشهادة الثالثة في يوم الغدير

وفي يوم الغدير أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن أخذ البيعة لعلي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين بزيادة الشهادة الثالثة: (أشهد أنَّ علياً وليّ الله) في فصول الأذان والإقامة.

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا قال أحدكم لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فليقل: علي أمير المؤمنين»[1].

وفي الحديث عن أبي ذر أنه أذّن بعد واقعة الغدير وأخذ يهتف بعد الشهادتين بالشهادة الثالثة، فرفع ذلك بعض إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال (صلى الله عليه وآله): «أما وعيتم خطبتي يوم الغدير لعلي بالولاية؟! أما سمعتم قولي في أبي ذر: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر؟! ».

وروي عن سلمان الفارسي أيضاً أنه أذّن بعد قصة الغدير فذكر بعد الشهادتين الشهادة الثالثة في أذانه، فأخبر بعض الصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك، فلم يرَ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أنه أقرّ لسلمان ذلك.

هذا بالإضافة إلى روايات أُخرى تدلّ على أنّ الشهادة الثالثة جزء من الأذان والإقامة، وقد اخترنا ذلك في الفقه[2].

الله تعالى يعصم نبيّه (صلى الله عليه وآله):

ثم انه لما تمّت بيعة الناس لعلي (عليه السلام) بالخلافة وبعد أن صلّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهم الفرض، أمرهم بالرحيل، وقد طال مكثهم هناك للبيعة ثلاثة أيّام.

فسار رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن أمر الناس بالرحيل يومه وليلته حتى أشرف على عقبة هرشا[3]، وكان قد تقدّمه نفر من المنافقين إلى ثنية العقبة وأخذوا معهم دباباً قد طرحوا فيها حجارة لينفروا برسول الله (صلى الله عليه وآله) ناقته ويقضوا عليه قبل أن يصل إلى المدينة.

قال حذيفة ـ بن اليمان ـ: فدعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمرني أن آخذ بزمام الناقة، ودعا عمّار بن ياسر وأمره بأن يسوقها، حتى إذا صرنا في رأس العقبة ودحرج أُولئك النفر تلك الدباب بين قوائم الناقة، فزعت الناقة وكادت أن تنفر، فصاح بها رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أسكني يا مباركة فليس عليكِ بأس».

فلما رأى القوم أن الناقة لا تنفر تقدّموا إليها ليدفعوها بأيديهم، فجعلت أنا وعمّار نضرب وجوههم بأسيافنا ـ وكانت ليلة مظلمة ـ فتأخّروا عنا وقد أيسوا مما دبّروه.

فقلت: يا رسول الله ألا تبعث إليهم رهطاً من أصحابك يأتوك برؤوسهم؟

فقال (صلى الله عليه وآله): «إني أكره أن يقول الناس: دعا قوماً إلى دينه فأجابوه فقاتل بهم، حتى إذا ظفر بعدوّه قتلهم، ولكن دعهم فإن الله لهم بالمرصاد وسيمهلهم قليلاً ثم يضطرّهم إلى عذاب غليظ».

قال حذيفة: ثم انحدرنا من العقبة ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتوضّأ وانتظر أصحابه، حتى نزلوا واجتمعوا لصلاة الصبح، فرأيتُ أُولئك النفر قد انخرطوا مع القوم ودخلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الصلاة، فلما قضيت الصلاة دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أُولئك النفر وعاتبهم على ما كان منهم من الوقوف على العقبة، فاعتذروا بأنّهم تقدّموه إليها لضيق المكان، وليأنس بعضهم ببعض، فنظر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) مليّاً ثم قال: «وما الله بغافل عمّا تعملون»[4].

الثقلان وديعتا رسول الله (صلى الله عليه وآله):

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يزل بعد يوم الغدير يكرّر من قوله:

«يا أيها الناس اني فرطكم، وأنتم واردون عليَّ الحوض، ألا واني سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربّي ذلك فأعطانيه، ألا واني قد تركتهما فيكم: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم. أيها الناس، لا ألفينّكم بعد

سريّة أُسامة خطوات بعد الغدير

ثم عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللواء والإمرة لأُسامة بن زيد، وندبه أن يخرج بجمهور الأمّة إلى حيث أُصيب أبوه من بلاد الروم، وكانت هذه هي آخر سريّة عقدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته، وكان قد اجتمع رأيه على إخراج جماعة من الذين تآمروا عليه في العقبة وتعاهدوا بينهم على نكث البيعة في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند ارتحاله (صلى الله عليه وآله) من يختلف في الرياسة، ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة، ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقّه منازع.

فعقد (صلى الله عليه وآله) لأُسامة الإمرة على كبار الصحابة وذوي أسنانهم وهو حدث السنّ، حتى لا يطعن أحد في تعيين الله ونصب رسوله علياً خليفة من بعده وأميراً للمؤمنين بحداثة السنّ، ثم جدّ في إخراجهم، وأمر أُسامة أن يعسكر بالجرف على أميال من المدينة، وأمر الناس بالخروج إليه والمسير معه، وحذّرهم من التلوّم والإبطاء عنه. وقال (صلى الله عليه وآله): «نفّذوا جيش أُسامة، نفّذوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة»، يكرّرها ثلاثاً[1].

وبينا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحرص أشدّ الحرص على تسيير جيش أُسامة، ومغادرة رؤوس أصحابه المدينة، وتخليتها لعلي (عليه السلام) من المعارضين، إذ عرضت له الشكاة التي ارتحل فيها من الدنيا، وكانت شكاته على أثر اكلة خيبر المسمومة، فإنه مازال ينتقض به سمّها حتى قال (صلى الله عليه وآله) عند ارتحاله: «اليوم قطعت مطاياي الأكلة التي أكلتُ بخيبر، وما من نبيّ ولا وصيّ إلاّ شهيد»[2]. وهناك روايات أُخرى في سبب شهادته (صلى الله عليه وآله) مذكورة في المفصّلات[3].

فلما أحسّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك أخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، واتبعه جماعة من الناس، وتوجّه إلى البقيع، فقال لمن اتبعه: «إنني قد أُمرت بالإستغفار لأهل البقيع»، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم وقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم يتبع أولها آخرها».

ثم استغفر (صلى الله عليه وآله) لأهل البقيع طويلاً.

ثم أقبل إلى علي أميرالمؤمنين (عليه السلام) وقال له: «يا أخي، إنّ جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن كل سنة مرة، وقد عرضه عليّ في العام مرتين، ولا أراه إلاّ لحضور أجلي»، ثم قال: «يا علي إني خيّرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها، وبين لقاء ربّي والجنّة، فاخترتُ لقاء ربّي والجنّة خالداً فيها، فإذا أنا متّ فتغسلني» وأوصاه أن يكون (عليه السلام) هو الذي يلي أمره.

ثم عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من البقيع إلى منزله، فمكث ثلاثة أيام موعوكاً، ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمداً إلى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بيمنى يديه، وعلى الفضل بن العباس باليد الأُخرى حتى صعد المنبر فجلس عليه، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: «معاشر الناس، قد حان منّي خفوق من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إياها، ومن كان له عليَّ دَيْن فليخبرني به»[4].

الكتاب والعترة خليفتا رسول الله (صلى الله عليه وآله)

فلمّا كان من الغد أقبل الأنصار وأحدقوا بالباب، وعلموا بشدّة نقاهة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والضعف الذي هو فيه فجعلوا يبكون، فسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) البكاء فقال: «من هؤلاء الباكون؟ ».

قالوا: هم الأنصار يا رسول الله.

فقال (صلى الله عليه وآله): «مَن هنا مِن أهل بيتي؟ ».

قالوا: علي (عليه السلام) والعبّاس.

فدعا بهما وخرج متكئاً عليهما واستند إلى جذع من جذوع مسجده، واجتمع الناس حوله، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «معاشر الناس! إنه لم يمت نبيّ قطّ إلا خلّف تركة، وقد خلّفتُ فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فتمسّكوا بهما، فمن ضيّعهما ضيّعه الله، ألا وإن الأنصار كرشي وعيبتي التي آوي إليها، وإني أُوصيكم بتقوى الله والإحسان إلى محسنهم، والتجاوز عن مسيئهم»[5].

مع أسامة بن زيد:

ثم انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا أسامة بن زيد الذي أمره أن يعسكر بالجرف وقال له: «سِر على بركة الله حيث أمرتك بمن أمّرتك عليه».

فقال أسامة: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أتأذن لي في المقام عندك حتى يشفيك الله، فإني متى خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي قلبي منك قرحة.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «انفذ يا أُسامة إلى ما أمرتك».

فخرج أُسامة من يومه ذلك، ونادى منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا لا يتخلّف عن جيش أُسامة أحد ممن أمَّرته عليه.

ثم أمر (صلى الله عليه وآله) قيس بن عبادة والحباب بن المنذر بإخراج جماعة من الأنصار كانوا قد تثاقلوا، وأمرهم بترحيل القوم إلى عسكرهم، ففعلا ذلك حتى ألحقوهم بالعسكر، وقالا لأُسامة: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يرخّص لك في التأخير، فسر من قبل أن يعلم بتأخيرك، فارتحل بهم أُسامة، وانصرف قيس والحبّاب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخبراه بمسير القوم، ومع ذلك فقد تخلّف عن جيش أُسامة بعض كما ورجع منهم آخرون إلى المدينة[6].

النبي (صلى الله عليه وآله) يصلّي بالمسلمين جالساً:

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لشدّة شكاته في تلك الليلة لا يفارقه علي (عليه السلام) والفضل بن العباس، وكان بلال عندما يؤذّن لكل فريضة يأتي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فيقول: الصلاة يا رسول الله، فإن قدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الخروج إلى الصلاة خرج وصلّى بالناس، وإن لم يقدر أمر علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن يصلّي بهم[7].

وفي صباح تلك الليلة أتاه بلال على عادته يؤذنه بالصلاة، فوجده قد ثقل عن الخروج، فنادى: الصلاة رحمكم الله، فأذّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بندائه ورأسه في حجر علي (عليه السلام). ولم يتمكّن (صلى الله عليه وآله) من الخروج إلى المسجد.. هذا والمسلمون جالسون للصلاة فتقدّم أحد الصحابة إلى المحراب، فلمّا كبّر سمعه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال ل

النبي (صلى الله عليه وآله) ساعة الوداع

قال ابن مسعود: لما دنا فراق رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمعنا في بيت فنظر إلينا فدمعت عيناه ثم قال (صلى الله عليه وآله): «مرحباً بكم، حياكم الله، حفظكم الله، نصركم الله، نفعكم الله، هداكم الله، وفّقكم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، أُوصيكم بتقوى الله، وأُوصي الله بكم[1]، اني لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإن الله تعالى قال لي ولكم: ((تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))[2]. وقال سبحانه: ((أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ))[3] ».

قلنا: متى يا رسول الله أجلك؟

قال (صلى الله عليه وآله): «دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى، وجنّة المأوى والعرش الأعلى، والكأس الأوفى، والعيش الأهنأ».

قلنا: فمن يغسّلك؟ قال (صلى الله عليه وآله): «أخي»[4].

من كلمات الوداع:

قال علي (عليه السلام): «بينما نحن عند النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يجود بنفسه وهو مسجّى بثوب وملاءة خفيفة على وجهه، فمكث ماشاء الله أن يمكث ونحن حوله بين باكٍ ومسترجع إذ تكلّم (صلى الله عليه وآله) وقال: ابيضّت وجوه، واسودّت وجوه، وسعد أقوام، وشقي آخرون، أصحاب الكساء الخمسة أنا سيّدهم ولا فخر، عترتي أهل بيتي السابقون المقرّبون، يسعد من اتّبعهم وشايعهم على ديني ودين آبائي، أنجزتَ مواعيدك يا رب إلى يوم القيامة في أهل بيتي»[5].

الأولى حتى من جبرئيل:

وعن علي (عليه السلام) أنه قال: «دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شكاته فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق، والنبي (صلى الله عليه وآله) نائم، فلما دخلت التفت إليّ ذلك الرجل وقال لي: أدن إلى ابن عمك فأنت أحقّ به منّي، فدنوتُ منهما، فقام الرجل وجلست مكانه ووضعتُ رأس النبي (صلى الله عليه وآله) في حجري كما كان في حجر الرجل، فمكث ساعة، ثم استيقظ النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا علي، أين الرجل الذي كان رأسي في حجره؟

قلت: يا رسول الله إنّي لما دخلت دعاني إليك ثم قال: أدن إلى ابن عمك فأنت أحقّ به منّي، ثم قام فجلستُ مكانه.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): فهل تدري من الرجل؟ ذاك جبرئيل كان يحدّثني حتى خفّ عني وجعي، ونمت ورأسي في حجره»[6].

قال عمار: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر الله دعا بعلي (عليه السلام) فسارّه طويلاً ثم قال له: «يا علي أنت وصيّي ووارثي، قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا متّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم، وغصب على حقد».

فبكت فاطمة (عليها السلام) وبكى الحسن والحسين (عليهما السلام).

فقال (صلى الله عليه وآله) لفاطمة: «يا سيّدة النسوان ممّ بكاؤك؟ ».

قالت (عليها السلام): «يا أبة أخشى الضيعة بعدك».

قال (صلى الله عليه وآله): «أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، لا تبكي ولا تحزني، فإنّك سيدة نساء أهل الجنّة، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنّة، ومن صلب الحسين (عليه السلام) يخرج

الله الأئمّة التسعة مطهّرون معصومون، ومنك مهدي هذه الأُمّة»[7].

جبرئيل (عليه السلام) وكتاب الوصيّة:

قال علي (عليه السلام): «دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ارتحاله من هذه الدنيا وأخرج من كان عنده في البيت غيري، والبيت فيه جبرئيل والملائكة معه، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتاب الوصية من يد جبرئيل مختومة، فدفعها إليّ وأمرني أن أفضّها، ففعلت، وأمرني أن أقرأها فقرأتها، فإذا فيها كل ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوصيني به شيئاً شيئاً ما تغادر حرفاً»[8].

قال موسى بن جعفر (عليه السلام): «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أليس كان أمير المؤمنين (عليه السلام) كاتب الوصية ورسول الله (صلى الله عليه وآله) المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقرّبون شهود؟

فقال (عليه السلام): فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت، ولكن حين نزل برسول الله (صلى الله عليه وآله) الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجّلاً، نزل به جبرئيل مع أُمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمد، مر بإخراج مَن عندك إلاّ وصيّك ليقبضها منا، وتشهدنا بدفعك إياها إليه...

ففعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك وأشهدهم عليه وقال: يا علي، تفي بما فيها مِن موالاة مَن والى الله ورسوله، والعداوة لمن عادى الله ورسوله والبراءة منهم على الصبر منك، وعلى كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقّك، وغصب خمسك، وانتهاك حرمتك.

فقال: نعم يا رسول الله.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل يقول للنبي (صلى الله عليه وآله): يا محمد عرّفه أنه يُنتَهَك الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل حتى سقطت على وجهي وقلت: نعم قبلت ورضيت وإن انتهكت الحرمة...

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وأعلمهم مثل ما أعلم أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقالوا مثل قوله، فختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار ودفعت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وخرج جبرئيل والملائكة معه إلى السماء... »[9].

ثم عرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضعف شديد، فلما أفاق دخلت عليه النساء يبكين وارتفعت الأصوات وضجّ الناس بالباب من المهاجرين والأنصار.

وديعة الله ووديعة رسوله:

قال موسى بن جعفر (عليهما السلام): «فقلت لأبي (عليه السلام): فما كان بعد خروج ال

النبي (صلى الله عليه وآله) يستدعي أخاه

ولما ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحجب الناس عنه كان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يفارقه إلا لضرورة، فقام (عليه السلام) في بعض شؤونه، فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إفاقة فافتقد علياً (عليه السلام) فقال وأزواجه حوله: «ادعوا لي أخي وصاحبي» وعاوده الضعف فصمت.

فدُعي له غير علي (عليه السلام)، فلما فتح (صلى الله عليه وآله) عينه ونظر إليه أعرض عنه بوجهه.

فقالت أمّ سلمة: أدعوا له علياً (عليه السلام)، فإنه لا يريد غيره.

فدعي أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما دنا منه أومأ (صلى الله عليه وآله) إليه، فأكبّ عليه فناجاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) طويلاً، ثم قام فجلس ناحية، فقال له الناس بعد ذلك: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟

فقال (عليه السلام): «علّمني ألف باب من العلم، يفتح لي في كل باب ألف باب، واوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله تعالى»[1].

وفي رواية أنه قال (عليه السلام): «علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من الحلال والحرام، وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب»[2].

بين الحبيب وحبيبه:

ثم ان أم سلمة استأذنت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لها: «ادعي لي حبيبتي وقرّة عيني وثمرة فؤادي فاطمة المظلومة بعدي»، فدعتها، فأقبلت وهي تبكي، فاعتنقها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضمها إلى صدره، فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً، ثم ناجاها وأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها له، ولما سئلت بعد ذلك عن بكائها وعن تهلّل وجهها؟

قالت (عليها السلام): «نعى إليّ نفسه فبكيت، ثم أخبرني بأني أول أهل بيته لحوقاً به، وأنه لن تطول المدّة لي بعده حتى أدركه، وأخبرني أني سيدة نساء أهل الجنّة، وابناي سيدا شباب أهل الجنة وأن الأئمة الإثني عشر خلفاؤه هم بعلي ووُلدي: علي (عليه السلام) أبوهم وأولهم، والمهدي ابني آخرهم، فتهلّل وجهي لذلك».

ثم أنه (صلى الله عليه وآله) دعا الحسن والحسين وقبّلهما وشمّهما وجعل يترشفهما وعيناه تهملان وأخبر (صلى الله عليه وآله) بأنهما سيُظلمان بعده ويقتلان ظلماً، ولعن قاتلهما[3].

قال ابن عباس: ثم قالت فاطمة (عليها السلام) للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو في لحظاته الأخيرة: «يا أبة أنا لا أصبر عنك ساعة من الدنيا، فأين الميعاد غداً؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «أما إنك أول أهلي لحوقاً بي ـ وكان كذلك فقد لحقت بأبيها بعد خمسة وسبعين يوماً مظلومة شهيدة[4] ـ والميعاد على جسر جهنّم».

قالت (عليها السلام): «يا أبة أليس قد حرّم الله عزّوجل جسمك ولحمك على النار؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «بلى، ولكني قائم حتى تجوز أُمتي».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني عند القنطرة السابعة من قناطر جهنّم، أستوهب الظالم من المظلوم».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني في مقام الشفاعة وأنا أشفع لأُمّتي».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني عند الميزان وأنا أسأل لأمتي الخلاص من النار».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني عند الحوض، حوضي عرضه ما بين ايلة إلى صنعاء، على حوضي ألف غلام[5] بألف كأس كاللؤلؤ المنظوم، وكالبيض المكنون، من تناول منه شربة فشربها لم يظمأ بعدها أبداً»[6] وجعل يكرّرها.

النبي (صلى الله عليه وآله) حياً وميتاً:

ثم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثقل وهو (صلى الله عليه وآله) في بيت فاطمة (عليها السلام) فأشار إلى علي (عليه السلام) فدنا منه، فقال له وهو في لحظاته الأخيرة: «ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثمّ وجّهني إلى القبلة وتولّ أمري، فاستق لي ست قرب من ماء بئر غرس، فغسّلني وكفّني وحنّطني، فإذا فرغت فخذ بمجامع كفني واجلسني ثم سلني عما شئت، فو الله لاتسألني عن شيء إلا أجبتك، وصلِّ عليّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، يا علي ادفنّي في هذا المكان فإنّ بيتي قبري، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، وفي رواية: قدر شبر وأربع أصابع - وفي رواية: واجعل حول قبري حائطاً - ورش عليه من الماء واستعن بالله تعالى».

فأخذ علي (عليه السلام) رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوضعه في حجره وقد انقطع عن الكلام لما نزل به، فأكبت فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه***ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينه وقال بصوت ضئيل: «يا بنية هذا قول عمك أبي طالب، لا تقوليه، ولكن قولي: ((وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ))[7] »[8].

على مشارف الآخرة:

ولما كان صباح يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية المباركة استأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملك الموت، وهو (صلى الله عليه وآله) في بيت فاطمة (عليها السلام) وعمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ذاك ثلاث وستّون سنة.

قال ابن عباس: فلما طرق الباب قالت فاطمة (عليها السلام): «من ذا؟ ».

قال: «أنا غريب أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهل تأذنون لي في الدخول عليه؟ ».

فأجابت: «امضِ رحمك الله لحاجتك، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) عنك مشغول».

فمضى ثم رجع فدقّ الباب وقال: «غريب يستأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهل تأذنون للغرباء؟ ».

فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: «يا فاطمة، إن هذا مفرق الجماعات، ومنغّص اللذّات، هذا ملك الموت، ما استأذن والله على أحد قبلي، ولا يستأذن على أحد بعدي، استأذن عليَّ لكرامتي على الله، ائذني له»[9].

فقالت (عليها السلام): «أُدخل رحمك الله»، فلما أذن له دخل كريح هفّافة وقال: «السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك».

قال (صلى الله عليه وآله): «وعليك السلام يا ملك الموت».

فقال: «إنّ ربك أرسلني إليك وهو يقرؤك السلام ويخيّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا».

فاستمهله (صلى الله عليه وآله) حتى ينزل جبرئيل ويستشيره، فخرج ملك

النبي (صلى الله عليه وآله) يستدعي أخاه

ولما ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحجب الناس عنه كان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يفارقه إلا لضرورة، فقام (عليه السلام) في بعض شؤونه، فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إفاقة فافتقد علياً (عليه السلام) فقال وأزواجه حوله: «ادعوا لي أخي وصاحبي» وعاوده الضعف فصمت.

فدُعي له غير علي (عليه السلام)، فلما فتح (صلى الله عليه وآله) عينه ونظر إليه أعرض عنه بوجهه.

فقالت أمّ سلمة: أدعوا له علياً (عليه السلام)، فإنه لا يريد غيره.

فدعي أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما دنا منه أومأ (صلى الله عليه وآله) إليه، فأكبّ عليه فناجاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) طويلاً، ثم قام فجلس ناحية، فقال له الناس بعد ذلك: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟

فقال (عليه السلام): «علّمني ألف باب من العلم، يفتح لي في كل باب ألف باب، واوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله تعالى»[1].

وفي رواية أنه قال (عليه السلام): «علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من الحلال والحرام، وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب»[2].

بين الحبيب وحبيبه:

ثم ان أم سلمة استأذنت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لها: «ادعي لي حبيبتي وقرّة عيني وثمرة فؤادي فاطمة المظلومة بعدي»، فدعتها، فأقبلت وهي تبكي، فاعتنقها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضمها إلى صدره، فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً، ثم ناجاها وأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها له، ولما سئلت بعد ذلك عن بكائها وعن تهلّل وجهها؟

قالت (عليها السلام): «نعى إليّ نفسه فبكيت، ثم أخبرني بأني أول أهل بيته لحوقاً به، وأنه لن تطول المدّة لي بعده حتى أدركه، وأخبرني أني سيدة نساء أهل الجنّة، وابناي سيدا شباب أهل الجنة وأن الأئمة الإثني عشر خلفاؤه هم بعلي ووُلدي: علي (عليه السلام) أبوهم وأولهم، والمهدي ابني آخرهم، فتهلّل وجهي لذلك».

ثم أنه (صلى الله عليه وآله) دعا الحسن والحسين وقبّلهما وشمّهما وجعل يترشفهما وعيناه تهملان وأخبر (صلى الله عليه وآله) بأنهما سيُظلمان بعده ويقتلان ظلماً، ولعن قاتلهما[3].

قال ابن عباس: ثم قالت فاطمة (عليها السلام) للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو في لحظاته الأخيرة: «يا أبة أنا لا أصبر عنك ساعة من الدنيا، فأين الميعاد غداً؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «أما إنك أول أهلي لحوقاً بي ـ وكان كذلك فقد لحقت بأبيها بعد خمسة وسبعين يوماً مظلومة شهيدة[4] ـ والميعاد على جسر جهنّم».

قالت (عليها السلام): «يا أبة أليس قد حرّم الله عزّوجل جسمك ولحمك على النار؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «بلى، ولكني قائم حتى تجوز أُمتي».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني عند القنطرة السابعة من قناطر جهنّم، أستوهب الظالم من المظلوم».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني في مقام الشفاعة وأنا أشفع لأُمّتي».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني عند الميزان وأنا أسأل لأمتي الخلاص من النار».

قالت (عليها السلام): «فإن لم أرك هناك؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «تريني عند الحوض، حوضي عرضه ما بين ايلة إلى صنعاء، على حوضي ألف غلام[5] بألف كأس كاللؤلؤ المنظوم، وكالبيض المكنون، من تناول منه شربة فشربها لم يظمأ بعدها أبداً»[6] وجعل يكرّرها.

النبي (صلى الله عليه وآله) حياً وميتاً:

ثم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثقل وهو (صلى الله عليه وآله) في بيت فاطمة (عليها السلام) فأشار إلى علي (عليه السلام) فدنا منه، فقال له وهو في لحظاته الأخيرة: «ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثمّ وجّهني إلى القبلة وتولّ أمري، فاستق لي ست قرب من ماء بئر غرس، فغسّلني وكفّني وحنّطني، فإذا فرغت فخذ بمجامع كفني واجلسني ثم سلني عما شئت، فو الله لاتسألني عن شيء إلا أجبتك، وصلِّ عليّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، يا علي ادفنّي في هذا المكان فإنّ بيتي قبري، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، وفي رواية: قدر شبر وأربع أصابع - وفي رواية: واجعل حول قبري حائطاً - ورش عليه من الماء واستعن بالله تعالى».

فأخذ علي (عليه السلام) رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوضعه في حجره وقد انقطع عن الكلام لما نزل به، فأكبت فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه***ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينه وقال بصوت ضئيل: «يا بنية هذا قول عمك أبي طالب، لا تقوليه، ولكن قولي: ((وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ))[7] »[8].

على مشارف الآخرة:

ولما كان صباح يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية المباركة استأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملك الموت، وهو (صلى الله عليه وآله) في بيت فاطمة (عليها السلام) وعمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ذاك ثلاث وستّون سنة.

قال ابن عباس: فلما طرق الباب قالت فاطمة (عليها السلام): «من ذا؟ ».

قال: «أنا غريب أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهل تأذنون لي في الدخول عليه؟ ».

فأجابت: «امضِ رحمك الله لحاجتك، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) عنك مشغول».

فمضى ثم رجع فدقّ الباب وقال: «غريب يستأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهل تأذنون للغرباء؟ ».

فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: «يا فاطمة، إن هذا مفرق الجماعات، ومنغّص اللذّات، هذا ملك الموت، ما استأذن والله على أحد قبلي، ولا يستأذن على أحد بعدي، استأذن عليَّ لكرامتي على الله، ائذني له»[9].

فقالت (عليها السلام): «أُدخل رحمك الله»، فلما أذن له دخل كريح هفّافة وقال: «السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك».

قال (صلى الله عليه وآله): «وعليك السلام يا ملك الموت».

فقال: «إنّ ربك أرسلني إليك وهو يقرؤك السلام ويخيّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا».

فاستمهله (صلى الله عليه وآله) حتى ينزل جبرئيل ويستشيره، فخرج ملك

أعظم المصائب

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قال لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا علي، من أُصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب»[1]، وإلى هذا المعنى يشير ما جاء في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) من انه كان يقول:

«ما غاض دمعي عند نائبة***إلا جعلتـك للبكا سببا

وإذا ذكرتك سامحتك به***مني الجفون ففاض وانسكبا

إني أجل ثرى حللت به***عن أن أرى بسواه مكتئباً[2]

وأنشأ أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً يقول:

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً***هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً

هذا النبي ولم يخلد لأُمته***لو خلّد الله خلقاً قبله خُلدا

للموت فينا سهام غير خاطئة***من فاته اليوم سهم لم يفته غدا»[3]

وأنشأت الزهراء (عليها السلام) تقول:

«إذا مات يوماً ميّت قلّ ذكره***وذكر أبي طول الدُنى في تزيّد

تذكرت لما فرّق الموت بيننا***فعزّيت نفسي بالنبي محمد

فقلت لها: إن الممات سبيلنا***ومن لم يمت في يومه مات في غد»[4]

المعصوم لا يليه إلا معصوم:

قال ابن مسعود: قلت للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو في شكاته: يا رسول الله من يغسّلك إذا حدث بك حادث؟

قال (صلى الله عليه وآله): «يغسّل كل نبي وصيّه».

قلت: فمن وصيّك يا رسول الله؟

قال (صلى الله عليه وآله): «علي بن أبي طالب»[5].

وقال سلمان: أتيت علياً (عليه السلام) وهو يغسّل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان قد أوصى (صلى الله عليه وآله) أن لا يغسّله غير علي (عليه السلام)، وأخبر أنه لا يريد أن يقلّب منه عضواً إلا قُلب له.

وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله): «من يعينني على غسلك يا رسول الله؟ ».

قال (صلى الله عليه وآله): «جبرئيل».

فلما غسّله وكفّنه وحنّطه أدخلني وأدخل أبا ذر والمقداد وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فتقدّم وصففنا خلفه وصلّى عليه، ثم أدخل عشرة من المهاجرين وعشرة من الأنصار، فيصلّون ويخرجون، حتى لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ صلّى عليه[6].

وفي رواية: «ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله، ثم وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) في وسطهم، فقال: ((إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً))[7] فيقول القوم كما يقول، حتى صلّى عليه (صلى الله عليه وآله) أهل المدينة وأهل العوالي كلهم»[8].

النبي (صلى الله عليه وآله) في مثواه الأخير:

ولما فرغ المسلمون من الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ وقد صلّوا عليه فوجاً فوجاً ـ خاضوا في موضع دفنه فقال بعضهم: في البقيع، وقال آخرون: في صحن المسجد.

فقال علي (عليه السلام): «إنّ الله سبحانه لم يقبض نبياً في مكان إلا وارتضاه لرمسه فيه، وأني دافنه في حجرته التي قبض فيها، ـ وهي بيت فاطمة (عليها السلام) ـ فرضي المسلمون بذلك»[9].

فلما تهيّأ القبر وضع علي (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) على يديه ثم دلاّه في حفرته، ثم نزل علي (عليه السلام) في القبر فكشف عن وجهه، ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى ◆